

العقل الباطن

أو

ممكنونات النفس

يبحث في النفس البشرية ونجاها في الاوهام والاحلام
وكيف تتسامى وكيف تحدث الهموم والامراض
العقلية مع ايضاح الطرق التي يمكن الشاب
أن يتبعها في اصلاح نفسه وترقيتها

تأليف

سلام موسى

• مؤلف « اليوم والعد » و « حرية الفكر وابطالها في
التاريخ » و « نظرية التطور وأصل الانسان » الخ

عنيت بنشره

ادارة الجريدة

سنة ١٩٢٨

العقل الباطن

أو

مكونات النفس

١٩٥٣
٢٢
٠

يبحث في النفس البشرية وتجليها في الاوهام والاحلام
وكيف تتسامى وكيف تحدث الهبوم والامراض
العقلية مع ايضاح الطرق التي يمكن الشاب
أن يتبعها في اصلاح نفسه وترقيتها



مؤلف « اليوم والغد » و « حرية الفكر وأبطالها في
التاريخ » و « نظرية التطور وأصل الانسان » الخ الخ

عنيت بنشره

ادارة الهلال بمصر

سنة ١٩٢٨

المقدمة

موضوع هذا الكتاب جديد في اللغة العربية . وهو في اللغات الاوربية حديث العهد يقوم بزعامته فرود العالم النمساوي يعاضده ويروج نظرياته وينفعها طائفة من العلماء مثل يونج في سويسرا وأدلر في ألمانيا وبودوان في فرنسا ورفرز في إنجلترا . وربما كان هذا الاخير أكبر من تقح في نظريات فرود . ولكن فضل الاختراع والابتكار لفرود وحده

وقد كان في ميسوري أن أنقل كتاباً من مؤلفات هؤلاء الى العربية وأقع بذلك ولكني وجدت أن لهجة التأليف تساعد القارئ على الفهم أكثر من لهجة الترجمة . وأنا مع ذلك في تأليني إنما أخص ما درسته عن هؤلاء وفي التلخيص تنقية وتنقية أراعي فيها مصلحة القارئ العربي التي قد لا يساعدني النقل في بلوغها . وقد قرأت نحو عشرين كتاباً في هذا الموضوع ورأيت مصداق النظريات التي تقول بها في نفسي وفي غيري . ولذلك فاني سأعتمد في ضرب الامثال على ما مرّ بي بالذات أو بأصدقائي . وقد توقيت فيه بقدر الامكان ذكر الالفاظ العلمية لانه موضوع لجمهور القراء كما توقيت فيه الالاعيب

الادبية الرخيصة مثل « رأي فيما يرى النائم » بدل حلم و « الجاثوم »
بدل كابوس الخ

ولما كان هذا الغرض نصب عيني فاني اضطررت أيضاً الى عدم
تأكيد الغريزة الجنسية مع خطورتها العظيمة في هذا البحث . وذلك
لان التبسط في هذا الموضوع يحتاج الى عبارات قد لا تتفق والحياء .
وليس هذا الكتاب موضوعاً للعلماء حتى يقال أنه لا حياء في العلم .
ولكنني مع ذلك لم أهمل هذا الموضوع كل الاهمال . ولم يكن الاهمال
على كل حال مستطاعاً

واعتقادي أن القارئ اذا قرأ هذا الكتاب بترتيب فصوله
بدون تقديم فصل على آخر أمكنه في النهاية أن يعرف سريرة نفسه
ويقف على ميوله ويفحصها ويفسر أحلامه ويعالج أمراضه النفسية
ويمكن المستزيد أن يقرأ كتابي « اليوم والغد » ففيه فصول
تعلق بهذا الموضوع أما الذين يعرفون الانجليزية فيمكن المبتدئ
أن يقرأ

1 - W. W. Atkinson's The New Psychology

2 - " " " Suggestion & Auto-suggestion

3 - C. Baudouin's Suggestion & Auto - suggestion

أما المتوسط فيمكنه أن يقرأ :

4 - S. Freud's Introductory Lectures on Psycho -
analysis

وبعد ذلك يمكنه أن يتوسع بقراءة شيء من مؤلفات هؤلاء :

Freud, Rivers, Jung, Adler, Tansley & Varendonck

في ذكر العالمين

يبحث هذا الكتاب في العقل الباطن أي ذلك العقل الذي يعمل على غير وعي منا وبه نحلم ونحن نأثمون وبه تخطر علينا الخواطر ونحن في اليقظة الغافية حين لا نكون متنبهين أي حين يكون العقل الواعي غير يقظ تمام اليقظة

فهذا العقل الباطن يعمل كما أنه مستقل عنا . وهو يقرر ميولنا وأمزجتنا بل هو الذي يكون أخلاقنا وكثيراً ما تحدث لنا منه أمراض نفسية خطيرة جداً

وأول من عمد الى درس هذا العقل هو فرود العالم النمساوي فهو المعلم الاول وسائر الباحثين تلاميذه المعلقين على نظريته أو المنقحين لها . وهو يعتقد أن أهم نوازع العقل الباطن التي تحدث لنا الخواطر والاحلام هو الغريزة الجنسية التي تتكرر فبدو لنا بأشكال مختلفة . وان الاحلام تظهرنا على الثقافة القديمة التي كانت فاشية منذ آلاف السنين بين آبائنا

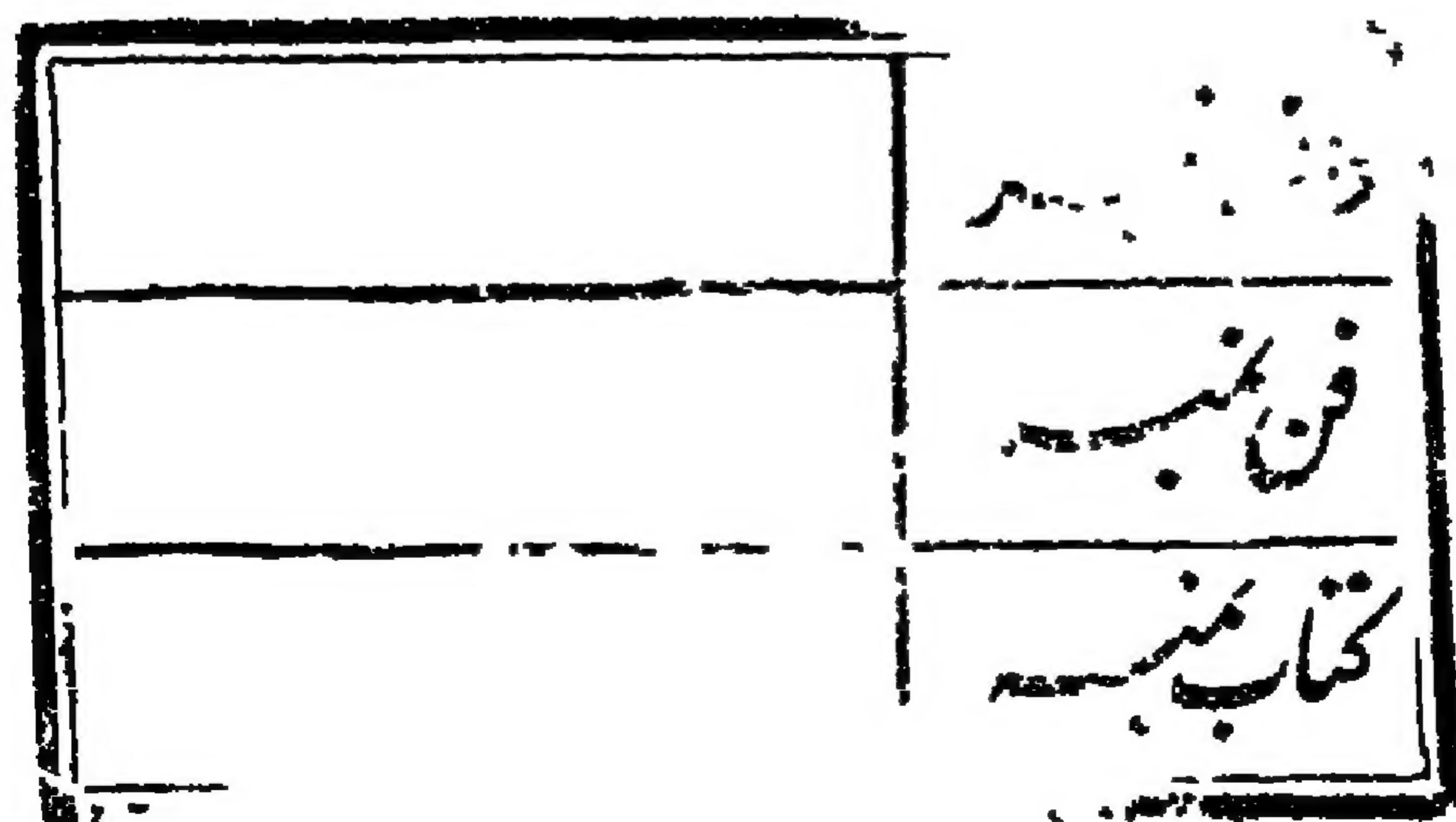
ويونج أستاذ سويسري يجري على أسلوب فرود ولكنه يؤمن بغريزة الرقي المتسامية باعتبارها القوة الاصلية التي تبثت الاحلام والخواطر وتحدث الامراض النفسية ويرى أثرها في الاساطير الدينية

والثقافة القديمة . وهو يختلف أيضاً عن فرود لأنه يقسم الناس قسمين من حيث المزاج أحدهما ذلك الذي يستجيب للبيئة بالدخول الى نفسه فيفكر ويحتر أفكاره . والآخر ذلك الذي ينشط للعمل ويؤثر في البيئة . وهذا التمييز ضروري عنده في معالجة المريض أو تفسير الحلم أما أدلر فهو أول تلاميذ فرود وهو أحسنهم . وهو لا يؤمن بأن الغريزة الجنسية هي القوة الاصلية التي تحدث الحواطر والاحلام وتكون الاخلاق وإنما يكاد يقول برأي ينتهجه بأن الرغبة في القوة والتوسع والاستعلاء هي الاصل أو هي الطاقة التي تكون منها أخلاقنا وخواطرنا وأحلامنا وأمراضنا . (وقد قبلت أنا رأي يونج بتفحيح طفيف . فالقوة النفسية الدافعة لنا والمكونة لشخصياتنا هي في اعتقادي الرغبة في الرقي . وهذا ما نستعثره من التطور . فان الطبيعة ترمي الى الارتقاء) . ولا دلر تفصح آخر في النفسولوجية الحديثة وهو أنه يمزو الى النقص الحادث في الجسم أو النفس أو الاحساس قوة تدفع الشخص الى الاعتياض منه بكفاية أخرى . وقد سماه « مركب النقص » كالأعمى يجود ذاكرته والاعرج يتجمل في لباسه والألكن يعود الخطابة . وهو يعتقد أن العبقرية ترجع الى نقص ما أما بودوان فرجل فرنسي له فضل آخر وهو إبراز قوة الاستهواء في المعالجة وخاصة ذلك الاستهواء الذاتي حين يؤثر الشخص في نفسه ويجعل عقله الباطن طوع ارادته كأن ياهم نفسه النجاح فينجح أو الشفاء فيشفى

وأخيراً نذكر رفرز وهو انجليزي استطاع ان يجعل النفسولوجية الحديثة علماً متصلاً بنظرية التطور فانتا اذا اعتبرنا فرود المخترع

الاول لهذا العلم والممارس لفنه وواضع أساليه فالتا نعتبر يونج فيلسوف
 هذا العلم من حيث توسيع دائرته حتى يشمل ثقافة الانسان كلها
 وأن هذه الثقافة كامنة في نفس كل منا . أما رفرز فانه العالم الذي
 لا يطبق الفلسفة ولذلك فهو أبعد الناس عن يونج وهو ينكر أن
 الاحلام تعبر عن الثقافة القديمة بل يرى أن رموز الحلم تكتسب
 من تجارب الشخص فقط

هؤلاء هم أقطاب النفسولوجية الحديثة . وطريقتهم كلهم تحليل
 النفس بالسؤال والجواب بحيث يذكر المريض حلمه أو خواطره فيأخذ
 المحلل في سؤاله عنها ويقرن كل معنى طارئ الى غيره حتى يستشف
 العقل الباطن ويقف المريض على كنه مرضه فيشفى . ولكن بودوان
 يزيد على ذلك طريقة الاستهواء ويستعمل التحليل والاستهواء معاً .
 أما رفرز فانه ينصح بتقييد الخواطر التي تمر بالعقل وقت الاستيقاظ
 عقب الحلم مباشرة ثم تقرر هذه الخواطر الى مادة الحلم فيمكن
 عندئذ تفسيره



الرفق طبعه الانسان

ان الهم الاكبر للنفس البشرية هو ارتقاؤها وتطورها من حسن الى احسن ومحاولتها الصعود ولو كان في ذلك فناؤها

فالانسان حيوان شريف بالطبع طموح الى العلاء دائب السعي في الرقي . وليس تطوره في الماضي هو الدليل الوحيد على ذلك إذ هو في عقاه وجنونه كما في احلامه وفي خواطره دائم الطموح الى العلاء والرفق

فمنظرية التطور هي نظرية النشوء « والارتقاء » وذلك لأن تاريخ الاحياء في الماضي يدل على أن الاحياء كانت في تطورها ترتقي من حال الى حال . وهذه النزعة التي تتغشى تاريخها في الماضي لا يمكن الا أن تكون مستمرة في نفسه نازعة به في المستقبل كما نعت بأسلافه في الماضي الى الارتقاء

وقديماً بحث الناس عن السعادة ولكنا الآن نكاد نتفق على أنها هي الشعور بالرفق . سواء أكان هذا الرفق بزيادة الصحة أو المال أو الجاه أو العلم . فما دمنا نزداد رقياً فنحن سعداء . وذلك لأن الرفق هو في صميم طبائعنا كما هو في صميم تاريخ الانواع أي

تطورها. وإذا بدأنا نشعر بأننا قد وقفنا عن الارتقاء فذلك هو ^{المراد} الشعور بالشقاء

ويمكننا أن نحس هذه النزعة حين نفوق قوة قصيرة فنستسلم
لخواطر لذيدة كأن نعتقد أننا صرنا وزراء أو علماء أو ملوكاً .
ونشعر بالسعادة تغمرنا لهذه الخواطر لأن هذه الخواطر تشبع في
أنفسنا شهوة الرقي كما نفهمه من الظروف التي تحوطنا . فالمقامر
يشعر أنه قد ربح مبلغاً جسيماً يجعله في مركز من السيادة يطمح إليه .
والنائب في البرلمان يخطر له خواطر لذيدة عن الوزارة التي سترشح
لها . والشحاذ تملأ ذهنه خواطر حلوة عن اللقطة التي سيلقاها
فيغتنم بها

ففي هذه الخواطر نجد طموحاً وتوسعاً ورقياً
وهناك من يحزن فيشعر أنه ملك وإن الملوكة من حقه فيأمر
وينهي ببلهجة الملوك . فهو في جنونه يطمح إلى الارتقاء من حاله
الوضيعة إلى حال قد تخيلها حتى صارت مرضاً في ذهنه
ثم اعتبر هذا الرجل المتشحر كيف يرضى بقتل نفسه لأنه لا يرى
أن الظروف المحيطة به تتفق ورغبته في الارتقاء . فلو أن نفس
الإنسان كانت بطبيعتها منحنية نازلة وليست راقية صاعدة لما رضى
إنسان أن ينتحر لأنه إنما ينتحر لأنه يرغب في ذلك الرقي الذي
يجلبه المال أو الجاه أو الشرف أو العرض أو الصحة
وقد نخطئ المتشحر أو المجنون معنى الرقي . ولكن العبرة
بالنزعة أما المعنى فإنه يكتسبه من الوسط
قلب الحياة هو الرقي وفي صميم نفوسنا هذا الطموح إلى

الارتقاء . ونحن عندما نحب المرأة الجميلة ونشتهي أن نزوجها إنما نفعل ذلك بفعل هذه النزعة التي نحملنا على أن نقرن ذاتنا بذات جميلة فنرتفع في ذريتنا بارتفاعها . وقد نخطيء هنا أيضاً معنى الرقي فنحب المرأة المثيرة

فالفلسوفية الحديثة تقول ان الانسان نزوع الى الارتقاء . ومن هنا فضلها على الاخلاق لأنها تجعل الرغبة في الخير أساساً لهذا العلم وتفرض فرضاً أولياً ان الانسان راق بطبعه لا تتوافر له السعادة حتى يكون دائماً في الارتقاء سواء أ كان ذلك في الفرد أم في الجماعة . ولكن هذا النزوع نفسه هو علة همومه وجنونه بل أحياناً انتحاره

النفس وطبقاتها

كان العلماء قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة اذا بحثوا في التفكير وطرقه استحال بحثهم الى منطق أو قواعد منطقية تتوهم منها أن الانسان حيوان عاقل يفكر بعقله ويعي ما يفكر فيه . ولكنهم الآن أكثر تواضعاً يستشفون الحيوان القديم تحت البشرة الانسانية ويعرفون أننا بعيدون عن المنطق في تفكيرنا . ويعرفون أيضاً أن العقل على سموه هو أضعف أدوات التفكير عندنا فلما ثبت على النظر في موضوع دون أن يشرد

فقد أحاول أن أفكر في موضوع ما فلا أكاد أبدأ وأضع ترسيم البحث حتى أرى أن عقلي قد شرد وجمع فأتذكر على الرغم مني ميعاداً ضربته لصديق . أو قد أتجشأ من طعام ثقيل سابق فينحرف تفكيري ثم أرى الذكرى تنبعث على أثر هذا التجشؤ فأنشأ أفكر في الطعام وفي بعض عادات سيئة في الطبخ . ثم أعاود البحث فلا أكاد أقضي فيه دقيقتين أو ثلاثاً حتى يمر بذهني خاطر يذكرني باهانة لحقتني منذ يوم أو منذ سنة ثم يخطر ببالى أن هذا الذي أهانني لم أقض معه حتى في توبيخه

وهكذا . فلو تأملت نفسي في هذا التفكير وكيف يشرد فكري

وكيف تطرأ عليه الخواطر بلا إرادة مني وكيف أتأثر أحياناً بحركة
أمعاني عرفت من ذلك كله أني لا أفكر بعقلي . وإنما أفكر بشيء
آخر أكبر من عقلي

وهذا الشيء الآخر هو النفس . هذه النفس المتألفة من
غرائزي القديمة ومن هذا الجسم الذي يتأثر منها ويؤثر فيها ومن
العقل الباطن الذي يحدث لي الأحلام وأنا نائم ويورد علي الخواطر
وأنا في غفوة اليقظة ومن العقل الواعي الذي أفكر به أحياناً وأنا
أعني ما أفكر فيه

فأنا أفكر بنفسي ولست أفكر بعقلي
ولكن هذه النفس طبقات أقدمها وأرسخها هو تلك الغرائز
القديمة التي نشترك فيها والحيوان القديم مثل الشهوة للطعام . يليها
هذا العقل الباطن الذي يعمل في الحلم وأنا لا أعني بعمله وأخيراً أي
أن آخر طبقة فيها وأحدثها هو هذا العقل الواعي الذي نفكر به
أحياناً تفكيراً مدبراً منطقياً

وطبقات هذه النفس تثبت بنسبة قدمها ورسوخها . فنحن
مثلاً إذا عمدنا إلى مخدر ما فتناولناه كان أول ما يتخدر به في نفسنا
هو هذا العقل الواعي لانه أحدث ما في أنفسنا فهو بمثابة الشجرة
حديثه العرس أيما ريح تهب عليها تميلها أو تكسرها . فإذا ثملنا قليلاً
عزب عنا هذا العقل فلا نطبق أن نقرأ كتاباً علمياً ولا نطبق الجدل
المنطقي . وفي هذه الفترة نجد أن العقل الباطن عقل الخواطر
والأحلام ينتبه فنستسلم لخواطر لذينة . وكل ذلك وغرائزنا
القديمة باقية كما هي لم تتأثر بهذا المخدر لأنها أقدم ما في نفوسنا فهي

لا تزعزع بالسهولة التي يزعزع بها عقلنا الواعي أو حتى عقلنا
الباطن مع ثباته . ولكن اذا نحن أدمننا الشراب تزعزعت الغراز
القديمة فتيء مثلاً أو لا نستطيع المشي

ففي كل منا عقلان : عقل واع حديث النشأة في نفوسنا سريع
التعب هو عقل اليقظة والتدبير والعلم . وعقل باطن قديم لا نعي بما
يفعل هو الاصل في خواطرنا وفي أحلامنا

وعقلنا الواعي هو العقل الراقى الذي به ندبر تدابيرنا وهو أصل
الاكتشاف والاختراع والبحث العلمي يمكننا أن نجادل وتناقش به .
وما دمننا في يقظة نامة لا يعترينا السكلال أو النعاس فهو يسيطر على
العقل الباطن فنضبط لساننا عن السهو والخطأ . ولكن اذا تعبنا
كان هو أول ما يشعر بالتعب فيغير عايله العقل الباطن ويحشد رءوسنا
بالخواطر اللذيذة . وأحياناً اذا كانت لنا نية مخبوءة فانها تبقى مستورة
ما دمننا في يقظة وما دام عقلنا الواعي مسيطراً . فاذا ثملنا بالخمر
أفشيناهذه النية لا تأتا عند ما تشمل تراخي رقابة العقل الواعي على
العقل الباطن فيعلن هذا نياتنا

وموضوع هذا الكتاب هو العقل الباطن أي هذا العقل الذي
نحلم به والذي يورد إلينا الخواطر اللذيذة . فقد أثبتت الابحاث أنه
هو الذي يقرر عقائدنا الدينية والسياسية ويكون الاخلاق والامزجة
للناس ويعمل لرفيهم أو انحطاطهم فدرسه هو درس للشخصية
الانسانية كلها

وهذا العقل الباطن قديم في نفوسنا وطريقة اقناعه ليست
المنطق بل الايحاء . وهو يجري على أساليب قديمة في تفكيره . فهو

لا يفهم مثلاً الصور المجردة للمعاني . ولذلك فطريقة تفكيره هي الرموز
أي أنه يضع للمعنى المجرد كلمات أو الشرف أو الحياة رمزاً مجسماً
كما نرى ذلك في الأحلام

ثم هو في أغراضه يسير على الطرق الصبغانية فيطلب اللذة
والسرور فقط . فنحن مثلاً إذا تخاصمنا مع أحد الناس وتركنا
الخواطر تجري بلا عائق من العقل الواعي أي بلا رقابة منه الفينا
أنفسنا نتخيل هذا الخصم وهو مقهور مهان أمامنا . فإذا نما وزالت
سيطرة العقل الواعي تماماً رأينا هذا الخصم ونحن نضربه أو نقتله
مع أن موضوع الخصام قد لا يتطلب منا وقت وعينا ويقتطنا سوى
أن نلوم هذا الخصم لوماً خفيفاً

فعلنا الباطن يجري على أساليب آباءنا المتوحشين وغرائزه كلها
غشيمة في الحب والانتقام لم تهذب . وهو يجري على الثقافة القديمة
ويكتسب تجارب من حياة الصبا أو الشباب ثم يحياها إلى رموز .
وهذه الرموز التي نراها في الحلم تشبه كل الشبه بل قد تتفق أحياناً
كثيرة والرموز التي كان يرمز بها آباؤنا للمعاني حين شرعوا في
تأليف اللغات ووضع الألفاظ وإيجاد الاستعارات والمجازات التي هي
في الواقع رموز

ويمكن أن نسمي العقل الواعي : عقل الثقافة الحديثة

أما العقل الباطن فهو : عقل الثقافة القديمة

ونحن في تفكيرنا نستعمل العقائين كما هو ظاهر مثلاً من الشاعر
الذي يؤلف القصيدة فإنه يدبر الأفكار أولاً ويرصد المعاني ويختار
الألفاظ على وعي . ثم مع ذلك يستعين بما يلهمه إليه عقله الباطن

من خواطر في المعنى أو في اللفظ على غير وعي منه . وإذا أنت
ملت القصص القديمة والاشعار الجاهلية وأدب القدماء على وجه
العموم ألفيته في أكثره من عمل العقل الباطن خواطر متوالية تنبئ
عن أغراض وأمان صيانية كما نرى في أساطير المصريين القدماء .
أما العلم الحديث فقام على العقل الواعي

ويحدث أحياناً أن هذا العقل الباطن يطمو بالعقل الواعي
فيحدث من ذلك جنون بحيث يعمل المريض أعمالاً لا يعي بها
ويسلك مسالك صيانية ويتخيل الخيالات أو يأتي بحركات هي
كالرمز لأشياء ينويها في نفسه أو هو يستجيب للنبهات استجابات
قديمة كما يحدث في الكابوس مثلاً

المقل الباطن

لنا عقل واع نعمل به أعمالنا على وعي بما نعمل ولنا عقل باطن يعمل وكأنه بعيد عنا. وذلك اذا غفونا أو نمتنا. ففي الغفوة بعد الغداء مثلاً نرى الخواطر تجري متلاحقة وفيها السخيف وفيها المعلوم ونكاد لا نعي بها الا اذا وقفنا في مجراها . وكذلك في النوم تجري احلامنا على غير وعي منا وفيها من السخافات ما نضحك منه عند اليقظة

ولسنا نشك في أنه ليس في الحلم وعي . وكذلك الخواطر تجري على غير وعي منا . ولسكتنا مع ذلك نشعر بأننا تسلط عليها أكثر من تسلطنا على الاحلام . وهي لهذا السبب قليلة السخف اذا قوبلت بالاحلام لان العقل الواعي الحديث يتغلب عليها ويجعل فيها شيئاً من المنطق

والانسان أكثر الحيوانات وعياً بدليل ان له أمسه وغده . ولكن الحيوان ليس محروماً كل الحرمان من الوعي . فان أصل الوعي هو التردد. فنحن مثلاً قد نمشي في الشارع ولا نعي بما حولنا أو بالطريق كل الوعي فاذا عثرنا وترددنا في الانحراف لا نأخذ خطوة مناسبة زاد وعينا بالطريق . ففي كل الحيوانات المترددة

في مسلكتها شيء من الوعي هو على أقل درجاته في تلك التي تتسلط الغريزة على مسلكتها وعلى أعلى درجاته في ذلك الذي يتسلط العقل على مسلكته . وهو الانسان

وقد قلنا ان عقل الثقافة الحديثة لا يتحمل التعب كثيراً . وهو أكثر ما في النفس وعياً ولذلك قلما نستطيع الاقامة على الوعي التام الا مدة قليلة . ونحن في حاجة الى النوم لكي نريح هذا العقل بإزالة حالة الوعي . وأحياناً نلجأ الى الحواطر السائبة تتطلق كما تشاء لكي تخفف عنا التعب الذي يجلبه علينا الوعي . واذا شغل بالنا هم عظيم يزيد حالة الوعي عندنا فاننا كثيراً ما هرب منه بشرب الخمر أو بالتدخين أو القهوة أو نحو ذلك

وفي حالي النوم والاستسلام للحواطر حين يغفو العقل الواعي يتنبه العقل الباطن ولا نعي بذلك أنه كان نائماً فانتبه . بل نعي أنه في اليقظة يكون تحت سلطان العقل الواعي فهو مكبوت مقيد . فاذا نما أو غفونا انطلق يسير في مجراه فزاه عندئذ يفكر بعقل الحيوان أو الثقافة القديمة أو يستسلم للملاذ

فقد أكون مغتاضاً من أحد الناس . فما دمت في اليقظة وفي الوعي التام فأنا أفكر في مصالحته والاتفاق معه وفي تغليب الخير على الشر وفي تقدير منفعتي من حيث مصالحته أو مقاطعته . وقد ترتفع نفسي الى البر فأفكر أيضاً في اصلاحه ومطاييته وأراني أتمس له بالمعاذير . فاذا نمت ذهب عني هذا العقل الحديث فأراني أقتله أو أضربه بقوة عقل الحيوان المنطلق الآن في نومي أو ربما شتمته بألفاظ فنية هي نتيجة الثقافة القديمة . وربما اكون صاحباً ولكني

في غفوة ذهنية فتجري الخواطر في رأسي حين أراه قد آتى متذلاً
يطلب الصفح وأنا أناجي عليه وأتدلل

ففي النوم وفي خواطر اليقظة ينتبه العقل الباطن وينوي نياته
الشريرة . ولكنها ليست كلها شريرة . فان الانسان القديم لم يكن
رجل شر لا يعرف الخير بل الحيوان القديم نفسه الذي نشأنا منه لم
يكن كله للشر

ولذلك فان هذا العقل الباطن يسمو بنا أحياناً في الخواطر سمواً
عظيماً حين يوهمنا بأن نكون في مراكز عالية من الرياسة والعلم
والرقي بل هو يعقل ذلك أحياناً في الأحلام . وذلك لأن نزعة
الرقي لن تفارقنا حتى في أمراضنا بل نحن عندما نفكر في الشر
انما نرمي بذلك الى ترقية أنفسنا كما كان يفهم الانسان القديم
أو الحيوان القديم معنى الرقي

وهنا يجب أن نلاحظ شيئين :

الاول : ان المشاهد أن أحلام اليقظة أي الخواطر السائبة
أكثر تمكناً في الاطفال من الرجال . فقد نرى الطفل يكلم نفسه
عن لعبه وألعابه على غير وعي منه ويبقى على ذلك مدة طويلة لا ينتبه
فيها عقله الواعي

والثاني : أننا في أحلامنا نسير على أساليب الطفولة وتخيلات
الاطفال فتتصور أننا ركبنا بقرة وطارت بنا أو أننا رجالاً في
ارتفاع المأذنة أو نحو ذلك من السخافات
فما هي دلالة ذلك ؟

دلالة أن الخواطر السائبة سبقت التفكير الواعي المنظم في تاريخ

الانسان . لان الطفل يمثل الانسان القديم بأفكاره كما يمثل الحيوان بحركاته عند ما يسير على أربع . ونحن نجري على أساليب الاطفال في الاحلام لهذا السبب عينه لأن أسلوب الطفل هو أسلوب الانسان القديم . فما دام عقلنا الحديث الواعي ينام فان عقلنا القديم ينطلق ويفكر بأساليب أسلافنا القدماء أي بأساليب أطفالنا الراهنين

فالعقل الباطن هو ذلك العقل الحيواني القديم امتزجت به ثقافة الانسان الاول وهو يجري في أساليبه على طريقة التفكير الذي نراه عند الاطفال . ونحن نحن بوجوده في الخواطر وقت اليقظة الغافية أو في الاحلام . وهو في الاحلام أقوى مما هو في الخواطر . وقد تكون مادة الحلم أو الخاطر حديثة خاصة بحياتنا المعيشية بشأن الزواج أو المنصب أو الدرس ولكنها في الحلم تجري على أسلوب الاطفال وتسير على النسق الذي كان يجري عليه أسلافنا القدماء

ولما كنا نحن تفكر بالنفس كلها أي بجملة عقولنا وغرائزنا فان بين هذه العقول تعاوناً ، الباطن منها والواعي والقديم منها والحديث ، لمصلحة الشخص . فهي ترمي كلها الى تحقيق الغاية التي يسعى صاحبها لتحقيقها كل منها بأسلوبه الخاص . فالعقل الحديث يحاول تحقيق غايات الشخص بالعلم والمنطق والطرق السامية وهو يفعل ذلك على وعي أي دراية . والعقل القديم يحاول التحقيق بطرق قائمة على الأثرة والتهجم او بطرق وحشية محضة وكل ذلك بلا وعي . ولكنهما يتعاونان . ولذلك كثيراً ما يجد العالم حلاً لمعضلة علمية في الخواطر السائبة أو في الاحلام . على أن الارادة القوية والعزم الصادق لا يكونان إلا باتحاد العقل الواعي والعقل الباطن كما سنرى بعد

قوة الغريزة الجنسية

يجب أن نصرح للقارىء بأنه كان يجب علينا أن نخص نصف الكتاب لموضوع هذا الفصل فإن الغريزة الجنسية هي أهم ما يشغل العقل الباطن . ولكتنا نتحامي التبسط في هذا الموضوع حياء من ذكر ألفاظ عيجها الذوق

وقد يكون اكبر ما يبعث الناس على تفادي الكلام في موضوع هذه الغريزة الجنسية شعورهم بقوتها والاحاحها كما يتفادى الانسان الكلام عن الامر المحظر . فتحن في معيشتنا واحتلاطنا بالناس وخاصة في وقت الشباب تتواضع على الصمت في هذا الموضوع روح وتغدو وفي أجسامنا غريزة تأجيج ثم يدعي كل منا للآخر أنه ليس به شيء . ومنا شبان يصابون بالجنون ونساء يقعن في الهستيريا وتنشأ بين البعض عادات سرية تؤدي بعقولهم ومع ذلك كلنا يلزم الصمت كأنه ليس هناك ما يرغب فيه أو يخشاه . وهناك من ينجح في كبت هذه الغريزة أو التسامي بها وهناك من يكتسبها فتستحيل شيطانياً في جسمه فلا يخطر بباله خاطر ولا يحلم في نومه إلا بها . وقد تلبس له لبوساً تختفي فيه وعندئذ يكون الضرر والخطر ومن الناس وخاصة الشيوخ من يعتقد أن فورة الشباب نوع من

الحلاعة التي تجلبها المدنية . وان القسوة تحسمها ومنع المخالطة بين الجنسين زيلها . ولكن الواقع الذي تشهد به النفسولوجية الحديثة أن كم العاطفة الجنسية كثيراً ما يؤول الى اختلالات عصبية ونفسية خطيرة . ولكن هناك نوعاً من كبت العاطفة يمكن أن يتسامى بصاحبه ويرفعه وسرّاه بعد

وقوة هذه العاطفة لا ترجع الى الحلاعة التي تجلبها المدنية . فان نظرة واحدة الى الاحياء تكفي لان يدرك الانسان منها مقدار عناية الطبيعة بالنسل ونهضة الانثى لكي تلتقي بالذكر واعداد الذكر بضروب الاغراء لكي يجذب الانثى اليه . ثم هذه الغريزة نفسها هي الاصل في اختراع الصوت (واللغة) كما هي الاصل في وجود الاسرة والحياة الاجتماعية وهي الاصل في الجمال . فالحيوان لم تنشأ له أعضاء الصوت إلا لكي يجذب الانثى اليه . ولم تنشأ له غريزة الجمال إلا اغراء للانثى بالذكر والذكر بالانثى . ومن الصوت نشأت اللغة . ومن الحب نشأت الاسرة . ومن الاسرة نشأ الاجتماع

ولهذا السبب لم يبالغ فروود إلا قليلاً حين زعم أن جميع أحلامنا تقريباً ترجع الى هذه الغريزة الجنسية . لانه لم يقصد الغريزة الغشيمة وحدها بل قصد منها أيضاً الى تطوراتها المهيبة

ونحن مع اتفاقنا وتواضعنا على الصمت والمداواة في موضوع هذه الغريزة لا نزال نرى من الحوادث ما ينبه أذهاننا الى قوتها . فهذا شاب قد اعتاد العادات السرية التي انتهت بجنونه . وهذه فتاة قد أصيبت بهستيريا قد يعسر شفاؤها . وهذه جناية كبرى قد قتل فيها الزوج أو العاشق . وكل ذلك من أجل هذه الغريزة

وحدث في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٧ أن فتاة قتلت سبعة أنفس
وهم مجموع أعضاء أسرتها لأنهم منعوها من الزواج . وقال المكاتب
في آخر الخبر : « بنت عانس قتلت أخوتها الأربعة وأختها ووالدتها
لتشديد الرقابة عليها ولأنهم امتنعوا غير مرة من تزويجها من خاطبها
بدعوى عدم كفاءتهم لها فلم يجد بداً من أن يجعل أسرتها ضحية آمالها
لتكون حرة في الأمر »

فشل هذا الخبر يفتح عيوننا ويجعلنا نعرف قيمة هذه الغريزة
وشدة إلحاحها على الإنسان

والمدنية شيء من وذر هذا الشقاء لأنها تؤجل الزواج الى
ما بعد الثلاثين أو الأربعين . مع أن هذه الغريزة على أحدها في
بلادنا فما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين . وهذه سن يقضيها
الشاب في عذاب المجاهدة وقد ينهزم في هذه المجاهدة وقد ينتصر
إذا تسامى بماطفته الى خدمة قته . ولكن قلما يخرج منها واحد لم
يجرح ذهنه منها بجرح كبير أو صغير

فقد تجد شاباً لا يطيق الانكباب على عمله لان أفكاره تتقلب
خواطر تسرح فلا يمكنه ضبطها وتسليطها على عمله . وهذه الخواطر
كلها جنسية . وتجد آخر لا جلد له على العمل وذلك لان هذه الغريزة
قد استحوالت في العقل الباطن قوة مضغوطة ليست على وفاق مع عقله
الواعي . وقد تتخذ أشكالاً غامضة لا يدري هو أنها جنسية فيزيد
ارتباكها . وقد تجد رجلاً آخر عصبي المزاج الى درجة مخيفة فاذا
حالت هذه العصبية ألفتها قائمة على تناقض بين عقليه الواعي والباطن

ومن هذا القليل أحلام الشبان والفتيات فان معظمها رموز لهذه
الغريزة المضغوطة

فيجب على القارئ أن يفرض وهو يقرأ هذا الكتاب أن
الغريزة الجنسية هي أهم عوامل النشاط في العقل الباطن وهي أهم أصل
للاحلام والخواطر وربما كانت أيضاً اكبر أسباب الجنون النفسي
عند الرجال والنساء . وسنقتصد جداً في ذكر الغريزة الجنسية أنفة
من ذكر ألفاظ يمجها الذوق

في الكبت

ليس شيء يمر بنا ونحن به حواسنا ثم ننساه إلا بسبب . وهذا النسيان مع ذلك ليس محواً تاماً إذ يمكن استتارة ما نسيناه بالتحليل النفسي وبالاستهواء . نعني بذلك أن النسيان ليس مطلقاً وهو لو كان مطلقاً لما أمكننا أن نتذكر شيئاً قد نسيناه قبلاً

والتذكر نفسه يدلنا على طريقة النسيان . فقد يسألنا أحد عن اسم شخص نعرفه فنحاول أن نتذكره ونجهد أنفسنا في ذلك بلا طائل ثم ننسى الموضوع وقد تمر ساعات أو أيام وإذا بالاسم يخطر على بالنا غير مدعو ولا مطلوب . فهو إذن قد « خطر » على بالنا . والخواطر كلها من العقل الباطن الذي لا يسيطر عليه العقل الواعي إلا وقت الانتباه واليقظة

فكل ما يمر بنا في حياتنا منذ أن نولد ونحن به حواسنا أو تفكر فيه عقولنا إنما ننساه لأنه محي من ذاكرتنا بل لأنه كُبت أي منع من الظهور في العقل الواعي . فنحن في الحقيقة لا ننسى شيئاً البتة . وإنما كل ما يقع لنا ، ولسنا في حاجة إلى أن يكون ماثلاً لذهنتنا في كل وقت ، يندس في العقل الباطن ويحتبس فيه لأن العقل الواعي الذي يؤدي به أعمالنا في اليقظة يكبت هذه الذكرى . وأحياناً إذا

غفل عنها في نوم أو غفوة أو مرض وكانت هذه الذكرى قوية فانها تعود اليها فتذكر أشياء كنا نظن اننا نسيناها ونحيت من ذاكرتنا تمام المحو

وهذا الكبت يحدث لنا في كل وقت وهو أحياناً من مصلحة الشخص لأنه ليس من المفيد لنا أن نذكر كل شيء بعقلنا الواعي . فلو كان الطفل مثلاً يذكر كل المخاوف التي كانت تعترضه وهو يتعلم المشي لما استطاع بعد ذلك أن يمشي . فهو يكبت هذه المخاوف واحدة بعد أخرى وينساها ويستطيع بذلك أن يمشي . وهو لو كان يتذكر على الدوام محاولاته الأولى في تلفظ الالفاظ لما استطاع أن ينطق بلمغة الكبار لأن لسانه يتذكر على الدوام الفاظ الطفولة . ولكن الواقع ان عقله الواعي يكبت هذه الذكرى عندما يتعلم النطق الحيد والكبت طبيعي وضروري في الحيوان . وخاصة منه تلك الانواع التي تنسلخ كالضفدع حين تكون عذومة تسبح بزعايق ثم تنسلخ الى ضفدع تثبت على اليابسة . فانها لو كانت تذكر وهي على اليابسة طريقة السير وهي عذومة على الماء لاحتلت أعصابها وارتبكت حركتها . فهي ما دامت عذومة تسبح بزعايقها كالسمك . فاذا انسلخت الى ضفدع كبتت فيها ذاكرة السباحة بالزعايق وصارت تسبح بسيقانها وتمشي عليها . فالكبت في هذه الحالة مفيد لها . وكذلك اليرقة التي تأكل ورق الشجر وتزحف يجب عندما تنسلخ الى فراشة أن تنسى طريقة الزحف وتطير بل يجب أن تغير ما آكلها . وهي لو بقيت لها ذاكرتها الأولى لما استطاعت أن تعيش

فالكبت ضروري كما يتبين من هذين المثالين . وهو ضروري في

انتقال الطفل من الطفولة إلى الصبا ومن الصبا إلى الشباب . نعي بذلك أننا يجب أن ننسى لأن النسيان من مصلحتنا . ولكن النسيان لفظة عامة يقابلها في النفسولوجية الحديثة لفظة الكبت . وعند التحليل يتبين لنا أننا لا ننسى شيئاً البتة . وإنما ما نظن أننا قد نسيناه إنما هو مكبوت في العقل الباطن يمكن استثارته وهو إنما كبت لسبب فقد نرى ونحن نسير في الشارع رجلاً يدوسه الترام ونرى الدم واللحم الممزق وزراه في حشرجته وآلامه . فنزعج أشد الانزعاج . فلو بقيت هذه الذاكرة ماثلة أمام أعيننا ونحن نؤدي أعمالنا اليومية لما استطعنا أن نعمل شيئاً لأن الحادثة تشغل أذهاننا وتقلق أعصابنا فمن مصلحتنا أن ننسى الحادثة وقت يقظتنا . ولكن هل نسياننا لها دليل على أنها محيت من أذهاننا ؟

كلا . والبرهان على ذلك أنها من وقت لآخر تخطر في بالنا ونزعجنا . وأحياناً نرى الحادثة على نصها الأصلي أو مشوهة في الحلم . ففي هاتين الحالتين نعرف أننا لم ننس الحادثة وإنما عقلنا الواعي كبتها لمصلحتنا حتى ننظر لمعاشنا . فاندست الذكرى في العقل الباطن الذي لا نعي به وصارت « تخطر » لنا في الخواطر وقت الغفوة أو زراها في الحلم وقت نوم العقل الواعي

وتدل التجارب على أننا بالاستهواء نستطيع أن نتذكر طفولتنا نفسها . والاستهواء حالة ينام فيها العقل الواعي . وهو شبيه بالنوم غير أن النائم في الاستهواء يمكنه أن يسمع ويتأثر بمن يخاطبه أكثر من النائم بالنوم الطبيعي ويكون المتسلط عليه ، فتتد عقاله الباطن وقد ضربنا الامثلة على فائدة الكبت . ولكن له أيضاً أضراراً

كبيرة . فان عندنا من العواطف ما نأبى أو نخجل أن نصرح به كالغريزة الجنسية مثلاً . فقد تقوم بنا عاطفة الحب فتكتبها لاتا نعيش في حال من الحضارة تمنع التصريح بها . ولكن هذه العاطفة غاية في القوة والعنف فاذا كتبناها وتاسيناهما حتى ظننا اننا نسيناهما تغفلتا وطرأت علينا خواطر جامحة تمنع تفكيرنا

وقد يحدث أن نرى حادثاً مزعجاً في طفولتنا فنكتبه ولكنه يستحيل الى كابوس عند ما نكبر ويتشكل بجملة أشكال فيزعجنا وقت النوم مع أننا نظن أننا قد نسيناه حتى انمحى من ذهننا . ولكن الحقيقة أن العاطفة كانت شديدة فاندست في العقل الباطن وصارت قراءى لنا بهيئة كابوس

لما كان عمري سبع سنوات رأيت رجلاً مخنوقاً عاري الجسم أزرق الوجه منتفخه . وكان قد وضع في مكان من الكنيسة منفرداً لتهيئته للغسل والكفن . وكان معي رفيق أكبر مني سنأ مكر بي حتى أوصلني الى الجنة وهو ورائي بعيد عني فما شعرت إلا وأنا أكاد أقع فوق الجنة . فرعبت من المنظر وتراجعت وبقيت الذكرى تخيفني أكثر من شهرين . ثم تتوسيت بمرور السنين

وصرت بعد ذلك أنام وحدي في الغرفة بل أمشي في الظلام ولا أخاف وظننت اني نسيت الحادثة بل كنت أرويه أحياناً بلا خوف . ولكن بقي ينتابني كابوس لازمني نحو عشرين سنة أو أكثر . وكان يتشكل بأشكال مختلفة فساعة أراه رجلاً ضخماً يريد أن يقتلني وأخرى أراه يحاول أن يسرقني ويقتلني . ولم يكن لديّ أو لدى أي واحد علاج يقيني في نومي منه

وأخيراً عند ما درست النفسولوجية الحديثة خطر في بالي أن أحلل هذا الكابوس وأعرف مآتاه . وكانت طادتي آني بعد أن أصرخ أستيقظ منهوك القوى خائفاً . فصرت عند اليقظة أمثل الكابوس كما رأيته لذهني وأستعيده وأنا ما أزال أتلطظ بالنوم السابق قبل أن ينتبه عقلي الواعي كل الانتباه . ثم جعلت أقيّد في ذهني الحواطر التي تخطر لي في هذه الفترة . وما أشد ما كان استغرابي عند ما وجدت أن الكابوس يذكرني على الدوام بذلك الرجل المخنوق الذي رأيته قبل عشرين سنة أو أكثر . وتكرر الكابوس وتكرر ظهور الجثة القديمة . ومن ذلك الوقت انقطع عني الكابوس أو كان يأتي فلا أخاف ولا أصرخ منه بش أحلم به حُلماً خفيفاً لا يؤذيني والتحويل هو كما يلي :

اني عند ما رأيت الرجل المخنوق غمرتني عاطفة الخوف وبقيت مدة طويلة أي عدة أشهر زرعجني . ولكن عقلي الواعي الذي ينشد مصلحتي يرى أن هذا الرعب المستمر يمنعني من العيشة الصالحة فهو لذلك قد كبت الذكرى . فاندست في عقلي الباطن حتى توهمت اني قد نسيت كل شيء عن هذا الرجل . ولكن الواقع أن العاطفة كانت شديدة فهي قوة محبوسة ما دمت أنا في يقظة لا يمكنها أن تخرج الى الوعي فأشعر بها وأنا يقظ . ولكنني اذا نمت فإن أول ما ينام في نفسي هو العقل الواعي لانه أحدث طبقات نفسي وأكثرها شعوراً بالتعب . ولكن العقل الباطن الذي لا يعي (والذي يحتوي على الثقافة القديمة والنرائز الحيوانية) يستيقظ . فتظهر فيه عاطفة الرعب مصورة لي في هيئة وحش يريد أن يأكلني أو هيئة رجل يريد أن

يقتلني . وهذه التصورات هي طريقة التفكير القديمة التي كنا نفكر بها ونحن في طور الحيوان وفي بداية تاريخ الانسان . فأنا لا أرى الرجل المخنوق بصورته كما رأيته في الاصل لان عقلي الباطن ليس مشغولا بهذه الصورة بل هو مشغول بالرعب أي بعاطفة الخوف المستكنة فيه فهو يصور الخوف كما يفهمه بطريقة القديمة في رجل ينبغي هلاكه أو وحش يريد التهامي

ولكنني عند ما عرفت أن هذا الكابوس هو نفسه الرجل المخنوق القديم الذي رأيته زال عني كما قلت آنفاً . وذلك لاني نهيت عقلي الباطن الى الحقيقة التي انخدع فيها . فكما أهابت بي عاطفة الخوف تذكر هو الرجل المخنوق على حقيقته فيعرف انه جثة عاجزة فلا يخاف

الليد والطاقة المكبوتة

كيف تفكر ؟

للتفكير ثلاث درجات :

- ١ - فنحن أولاً « نعرف » الشيء بحواسنا أو بذهننا
- ٢ - ثم تكون عنه « عاطفة » ضعيفة أو قوية
- ٣ - ثم بعد ذلك تكون الرغبة التي تتجسم في الارادة . فأننا أرى الطعام أو يخطر في بالي أولاً . ثم تحدث عاطفة الجوع ثانياً . ثم اأرغب في الأكل أو أنزع اليه ثالثاً . فأهم به وهذه هي الارادة أو أرى ثوراً ناطحاً فهذه هي المعرفة . ثم أشعر بعاطفة الخوف ثم تقوم في نفسي رغبة الهرب فأجري ولكن يحدث أحياناً كثيرة ان ظروفنا تمنعنا من اشباع الرغبة فأن تذهب هذه الرغبة ؟

ان هذه الرغبة قوة من قوى نفسنا اذا لم تتصرف الى ارادة اندست في العقل الباطن فتبقى عندئذ طاقة مكبوتة اي قوة كامنة تتحين الفرص للخروج والعمل

مثال ذلك أني أكون مريضاً قد منع عني الطيب الطعام . فأننا بالطبع أجوع و تقوم في نفسي عاطفة الجوع . وتنشأ منها الرغبة

في الطعام . ولكني لا احقق هذه الرغبة . فهي عندئذ تنس في
عقلي الباطن . فما دمت أنا يقظاً فان عقلي الواعي يفهمني ضرورة
الجوع بغية الشفاء ولكني اذا نمت حلت بالطعام الشهى يبسط
أمامي . وذلك لان هذه الرغبة قوة اندست في عقلي وتحيث فرصة
النوم الذي طرأ على عقلي الواعي فجعلت عقلي الباطن يتخيل
ألوان الطعام

فهذه القوة المكبوتة التي يكبتها العقل الواعي وقت اليقظة تنس
وتكن في العقل الباطن وتحاول تحقيق أغراضها وقت النوم بالاحلام
أو وقت الغفوة الطارئة بالخواطر . فاني قد أكون صاحباً أو شبه
الصاحي فأفكر في ألوان الطعام تفكيراً سائباً هو الخواطر الطارئة
علينا والتي أحياناً لا نستطيع ضبطها اذا كانت العاطفة شديدة حتى
تدعونا الى أن نكلم أنفسنا بصوت مسموع

وهذه القوة المكبوتة هي قوة الليد . فالليد هو الطاقة الانسانية
التي تجد منفرجاً من حبسها في الخواطر أو الاحلام . ولهذا السبب
يحمل الجوعان بالخبز، ويحمل الفقير بالثروة، ويحمل الشاب المراهق بالزواج
وكل خواطره تقريباً تكون في تلك السن خاصة بالعاطفة الجنسية
واذا كانت العاطفة قوية جداً زادت قوة الليد فيحدث عندئذ
الجنون

وكل منا يصاب أحياناً بشيء من هذا الجنون كما اذا اغتظنا
من أحد الناس فالغيط عندنا يسلك هذه المسالك الآتية :
١ - قد تستحيل عاطفة الغيط الى الرغبة ثم الارادة فتضربه

فنستريح بذلك ولا نحتاج بعد ذلك الى التفكير فيه فلا نحلم به ولا
نخطر ذكره بآلنا

٢ - قد لا نستطيع أن نضربه ، فتستحيل عاطفة الغيظ الى
خواطر تتخيل فيها أننا نضربه أو نقتله

٣ - نراه في الحلم مهاناً أو مقتولاً أو قد جاء ليتذلل إلينا
وفي هذه الحالات الثلاث يريد عقلنا الباطن أن يتنفس عن هذه
العاطفة المكبوتة في تقوسنا ، فهو صامت ما دام العقل الواعي مستيقظاً
ولكنه يختلس منه فترات فيبدو لنا خواطر تمثل لنا خصمنا وهو
مقهور أمامنا أو ينتهز فرصة النوم فيمثلنا في الأحلام مقهوراً
ولكن إذا كانت عاطفة الغيظ شديدة جداً فأتينا نجد أنفسنا
تتكلم حتى ونحن مع الناس ولا نستطيع السكوت . وكما من رجل
رأيناه يفعل ذلك وهو لا يعي بمن حوله ! فإذا زادت قوة الليد
المحتبس صار هذا الذي يكلم نفسه بصوت منخفض يتكلم بصوت
عال ، وصارت خواطره التي تطرأ على عقله فيرى فيها خصمه مقهوراً
مضروباً مهاناً حقائق يؤمن بها . وهذا هو الجنون

فهناك من يحزن للأفلام أو للاهانة العظمى أو للحرمان الشديد
وخاصة ذلك الحرمان الناتج من كبت الغريزة الجنسية . فهذا الذي
يفلس تقوم في نفسه عقيدة أنه غني كبير جداً ، وهذه العقيدة تشبه
الحلم . فكما أن الجائع يرى الخبز في نومه كذلك المفلس يرى أنه غني
في حلمه ، فإذا جن أشبه جنونه حلمه . وذلك لأن كليهما من
عمل العقل الباطن . فالمفلس الذي يحزن يتغلب عقله الباطن على عقله
الواعي لأن الليد المحتبس قوي جداً أي أن العاطفة المكبوتة تريد

ان تفجر فهو يسير بين الناس أشبه بالتائم يرى في يقظته ما يراه في حلمه أي انه غني جداً . وهذا الرجل الذي أهين اهانة كبرى يحلم انه ملك ولكنه قد يزداد عنده احتباس الليد أي القوة المكبوتة فيعتقد وهو يقظان انه ملك لان عقله الواعي قد هزم أمام عقله الباطن ولكن هناك جلاً آخر غير الجنون نعني به التسامي

فقد سبق أن قلنا ان طبيعة النفس البشرية هي الرقي . وهذا المفلس الذي يحسب نفسه غنياً وهذا المهان الذي يحسب نفسه ملكاً إنما يريد أن يرقى كما يفهم عقله الباطن معنى الرقي وعلى مقدار ما يفهم . وقد سبق أن قلنا ان هذا العقل الباطن قديم يجري على طرق الثقافة القديمة ، فهو لا يفهم الرقي إلا في معنى الغنى أو الملوكة مثلاً ولكن العقل الواعي أحياناً يدخل في موضوع النزاع بينه وبين العقل الباطن ويحله كلاهما بالتسامي (من السمو) كان يحاول المحروم من اشباع الغريزة الجنسية أن يصير راهباً يخدم الله او عالماً ناسكاً يرصد نفسه للعلم او الفنون الجميلة او نحو ذلك مما سنشرحه بعد

وقبل أن أترك هذا الفصل يجب ان أثبت هنا اختلاف ثلاثة من أساطين النفسولوجية الحديثة في معنى الليد . فهو في رأي فرود تلك الغريزة الجنسية التي تنشأ لذتها ولا تبالي بالعرف والعادة . فاذا احتبست فهي إما أن تتسامى وإما أن تتكفى الى طرق الاطفال وفي هذه الحالة الثانية تحدث الانحرافات والامراض . ولكن ادلر يقول ان الليد هو النزوع الى القوة على طريقة نيتشه وان هذا النزوع اذا احتبس أحدث الامراض النفسية المألوفة

أو هو قد يحدث عكس ذلك من الجهة المقابلة بأن يجعل صاحبه نايغة
ولكن يونج يجمع بين الرأيين فيقول بأن الليد هو تلك الغريزة
الجنسية قد امتزجت بالنزوع الى الرقي
والثلاثة يقولون بإمكان التماسي بالليد ، أو بإمكان عكس ذلك أي
المرض والانحراف

وقد نظرت أنا الى الليد فاعتبرته طاقة في النفس ، ولم أكرث
بعد ذلك لطبيعته هل هو النزوع الى القوة أم الرقي أم الحب وان
كنت أرى ان الرقي هو طبيعة الانسان . ونحن لا نشعر بقوته إلا
إذا احتبس في النفس بعض الاحتباس أي إذا كُبت بعض الكبت.
أما إذا كان يجد منصرفاً طبيعياً له في اليقظة تكون منه تلك المادة
التي تعمل للرقي أو الانحطاط . وقد بلغ من غموض هذه اللفظة
وكثرة الاختلاف فيها ان رفرز رفض بتاتاً استعمالها

السأم والهم والعصبية

من الناس من يقبل على عمله متحمساً راضياً به مؤملاً فيه
النجاح ومنهم من يعمل عمله وهو سئم متراخ دائم التشاؤم
ومن الناس من يشكو الهم وأنه يأرق في الليل منه . ثم منهم
العصبي المتردد الذي يحسب لكل شيء ويخاف من كل شيء
وإذا نظرنا الى هذه الحالات من وجهة النظر التي تتبعها في
هذا الكتاب لم نجد لها جميعها غير علة واحدة هي النزاع بين العقل
الباطن والعقل الواعي . فإذا اتفق الاثنان شعرنا بالحماسة والاقبال
على العمل ولكنهما إذا اختلفا شعرنا بالسأم والهم والعصبية
ولكي نوضح ذلك يجب ان نفرض انه وضع على الارض لوح
طويل من الخشب وطلب منا ان نمشي عليه . فكلنا عندئذ نمشي عليه
بدون أي عناء ولا نخشى السقوط منه . ولماذا نخشى السقوط ؟ فانه
هو نفسه على الارض فلو سقطنا لما جرى لنا شيء من السقوط
ولكن هب أن هذا اللوح نفسه قد وضع على ارتفاع ٤٠ متراً
بين جدارين وطلب منا بعد ذلك أن نمشي عليه . فهنا نصاب بعصبية
منشأها النزاع بين العقل الباطن والعقل الواعي . فبعقلي الواعي
الحديث أجد أنه ليس هناك ما يدعو الى الخوف وان المنطق يقضي

بأنه ما دام اللوح هو نفسه الذي مشيت عليه وهو على الأرض وما دامت رجلاي كما هما صحيحين فاني يمكنني ان أمشي عليه وهو بين الجدارين ولكني في هذا الوقت أتذكر الارتفاع وقدره ٤٠ متراً فأحسب للسقوط . ويندس هذا الخوف في عقلي الباطن ، فأقف موقف التردد . وهذا التردد نفسه هو الحال العصبية التي أشعر بها وما دام عقلي الباطن يفكر في السقوط فالأغلب اني أسقط بالفعل . وذلك لان كل أعمالنا ترجع الى الاعصاب بما فيها المخ . فاذا فكرنا في السقوط أو بالأحرى اذا خطر السقوط في بالنا فان أعصابنا تحرك أعضائنا في ناحية السقوط لأنها توحى إلينا هذا الخاطر

فهذا مثال محسوس على هذه العصبية التي تصينا . وشيئ بهما تلك العصبية التي نشعر بها في الامتحان حين تمكن عاطفة الخوف في العقل الباطن فتربكنا وتنسينا ما حفظناه . أو تلك العصبية التي نشعر بها حين نقابل رئيساً محترماً أو حين نكون في حضرة قاض محقق أمام خصومنا . وأحياناً تشد بنا العصبية لان اليد المحتبس أي العاطفة المكبوتة في العقل الباطن تقوى وتعنف فلا نجد متفرجاً فتنفس عنها على غير وعي منا بحركة في القدم أو اليد أو الشفة لان هذه الحركة تحتاج الى طاقة تصرف اليها فتخفف الضغط للعقل الباطن . ولما نجد رجلاً قد اشتد الجدل معه وغضب منه وحبس غضبه الا وهو يحرك أحد أعضائه حركة غير واعية قد تكون أحياناً في عضلات الوجه أو اللب بسلسلة الساعة أو تحريك الساق أو القدم . وكل عصبية دليل على ان في العقل الباطن عاطفة مكبوتة فاذا توجهنا لعمل ما لم توجه به بكل نفسنا اليه فتكثر أخطاؤنا . ويبدو هذا

الخطأ لنا كأنه سهو طارئ بلا علة . ولكن الواقع أنه ليس في جميع أعمالنا عمل واحد نعمله بلا سبب

وهاك مثالا آخر للعصية : فقد يقوم في نفسي أن أذهب لزيارة صديق وأنظر للوقت فأجد أنه ما يزال بيني وبين الميعاد نحو ساعة فأقعد وأنكب على عملي منتظراً نهاية الساعة . ولكن عاطفة الشوق الى الزيارة قد اندست في عقلي الباطن فهي تغافلني من وقت لآخر وتخطر في بالي وتحدث لي أغلاطاً في الكتابة منشؤها الرغبة في العجلة . وأخيراً ما يزال يطمو بي العقل الباطن حتى يغمرني ويرر لي القيام قبل الميعاد وأكبر ما يبرر ذلك في نظري ان أغلاطي كثيرة وأنا عصي وعندئذ تصير النتيجة سيئاً

والعقل الواعي ما دام تام اليقظة فانه يكبت العقل الباطن ولكنه يغفل أحياناً من الاعياء مثلاً فتتهجم علينا الخواطر من العقل الباطن فتحدث لنا هذه العصية . ولكن اذا كثرت الخواطر علينا صرنا نسأم العمل وصرنا نشعر بالهم الذي يحول دون الانكباب على العمل فهذا الهم يجعلنا وقت العمل عصبيين لان عقلنا الباطن ليس على وفاق معنا . فهو يريد ان ينفس عن العاطفة المكبوتة وما يزال يختلس أوقات النفلة من العقل الواعي فيخطر لنا الخواطر الخاصة بهذه العاطفة . واذا انكفأنا الى فراشنا وحدثت الغفوة الاولى السابقة للنوم أخذ العقل الباطن يخيّل لنا الحبالات المختلفة عن هذه العاطفة فتأرق ، ونشعر عندئذ ان الهم قد تملكنا حتى صرنا لا تامل . فاذا اتفق أتنا نمنا بعد عناء الارق اشتد نشاط العقل الباطن فيأخذ في أحلام مروعة قد تبلغ من الشدة أن توفظنا ، وعندئذ يشمل

الاعياء الجسم كله فتتخط الصحة ويسير الشخص من سيء الى اسوأ
وهذا هو السبب في انك تجد الرجل الناجح يحب عمله وربما
كان يهواه وهو صغير فهو يقبل عليه كما يقبل على اللعب فيعمل
بحرارة ولذة . وذلك لان هذا الحب يجعل العقل الباطن على وفاق
مع العقل الواعي فلا يحدث بينهما هذا الاختلاف الذي يحدث
العصية والتردد

ولكن ليس كل منا قادراً على أن يجعل مهواته التي يهواها
عمله الذي يعمله ويعيش منه . وعلى ذلك يمكن كل انسان أن يعرف
هوى نفسه ويسلم لعقله الباطن بشيء من نشاطه حتى يخفف ضغطه
للعقل الواعي . وقد يكون ذلك بممارسة الرياضة أو الرسم أو القراءة
أو التجارة أو نحو ذلك . فاذا خصص كل انسان برهة من يومه
لكي يعمل عملاً يهواه في لباب نفسه فان العصية والهموم تقل ان لم
تنتف بته

ولكن هناك هموماً لا بد من حدوثها ولا مفر منها ، وخير
علاج لها هو الفصل فيها بسرعة ، ومتى فصل فيها فصلاً حاسماً انتهى
منها العقل الباطن . لانه انما يعمل اكثر عمله في المضلات الراهنة
فاذا كان شقاق بين زوجين لا ينقطع وجب الفصل فيه والانهاء منه
واذا كان خصام مع أحد الناس يبادى ويطول وجب البت فيه
ولو بخسارة ، فان الذي يقلق كثيراً هو الحاضر الراهن ، أما الماضي
فان الظروف الجديدة تعفيه والنجاح الجديد يزيل أثره
وقد يتقع هنا الاستهواء الذاتي في إزالة الهم وذلك بأن يوحى
الشخص لنفسه قيل النوم معنى النوم وانه يوشك ان ينمر الجسم

فانه ما من لقطة نسمعها حتى تؤثر فينا وما من خاطر يمر براء وسنا حتى يترك أثره فيها . فكما ان خاطر السقوط يجعلنا نسقط اذا كنا نمشي على جسر دقيق عال كذلك كلمة « السقوط » نسمعها من أحد الناس تخطر لنا هذا الخاطر وتهيء أعضاءنا للسقوط بالفعل . وكذلك كلمة النجاح تخطر لنا النجاح ، فاذا كرر المؤرق عبارة توهمه النوم مثل قوله « سأنام الآن » وقالها وهو مسترخي الاعضاء في غفوة مصطنعة لم يلبث أن ينام بعد تكرارها نحو عشرين مرة بعدها وهو لا يحرك عضواً من أعضائه . واذا لم تتجح التجربة في الليلة الاولى فالأغلب أنها تتجح في الليالي التالية

الاحلام

لا بد ان قارىء الفصول الماضية قد أدرك نظر النفسولوجية الحديثة للاحلام وللعقل الباطن ونشاطه مدة النوم أو النقوة . ولكن قليلا من الاعادة والتلخيص يبيء ذهن القارىء لفهم الاحلام فالنفسولوجية هي علم النفس . وهي تقول اتا تفكر بنفسنا . وهذه النفس مؤلفة من عقليين هما :

١ - العقل القديم وهو ما ورتناه من أسلافنا وهو عقل الشهوات والنزوات التي ترمي الى اللذة والسرور وهو غير واع ويجري في أساليه على طرق الثقافة القديمة حين بدأ الانسان يدخل في طور الانسانية ويفهم السيادة والملوكية والامتلاك

٢ - العقل الحديث الواعي الذي نعرف به الامس والغد وندير به ونفكر . وفيه بذور المنطق العلمي وهو واع أي نعي بأعماله أو قل هو عقل اليقظة

وقد اصطالحنا على أن نسمي الاول العقل الباطن أي الذي يعمل أعماله على غير وعي منا في الخواطر التي يمكن ان تسمى أحلام اليقظة وفي الاحلام أي وقت النوم

والنوم يلحق بالعقل الواعي وحده . وذلك لانه عقل حديث

ولحداته في أجسامنا لم يتأصل فهو كالشجرة الحديثة العهد بالغرس
إذا هبت الريح زعزعتها في حين أن الأشجار القديمة لا تنزعزع
بالعواصف . فالكلال يعتريه بسرعة . ولذلك فهو أول ما ينام وأول
ما يحن وأول ما تصيبه الحمى

وليس معنى هذا أن العقل الباطن لا ينام البتة ولا يحن ولا
يسكر . فأتا نعرف أتا إذا كنا في حاجة شديدة إلى النوم وقد أخذ
منا الكلال والاعياء فأتا ننام نوماً « عميقاً » أي أتا لا نحلم أي أن
كلا عقلينا قد نام لشدة الاعياء الذي شملهما كليهما . وهذا شبيه
بالجنون حين يشتد فيأكل المجنون للآراب أو الطين لأن عقله الغريزي
الذي كان يميز به الطعام قد جُن أيضاً . بل في تناول الحمى نشعر
بدرجات الجنون تصيب طبقات عقولنا الواحدة بعد الأخرى حتى
يختل فينا العقل الغريزي . ولكنه مع ذلك آخر ما يسكر ويختل
ولكن لا يتفق لنا ذلك إلا قليلاً . وأغلب حياتنا تقضى في
نوم عادي أي أن الذي ينام فينا هو العقل الواعي فقط . بل أحياناً
يكون الاعياء منبهاً للعقل الباطن فترى الأحلام تتوارد كثيراً

وقد قلنا أن العقل الباطن يبقى مكبوتاً مدة اليقظة لأن العقل
الواعي يكبته ويمنعه من الظهور . فإذا نشأت فينا وقت اليقظة عاطفة
شوق أو جوع أو غضب أو كرامة أو طمع وكبتها عقلنا الواعي
لأن الحضارة لا تواتينا على أن نترجم هذه العاطفة إلى رغبة ثم
إرادة فعل أو أن نطروها الخصوصية لا تساعدنا على ذلك فإن هذه
العاطفة تندس في العقل الباطن وتبقى قوة مضغوطة إذا نمنا أو غفونا
ظهرت بمظهر الحلم أو الخاطر

وما دام العقل الباطن هو الذي يُظهرها لنا فهو يظهرها على أسلوبه القديم . فنحن في النوم نتقل من انسان القرن العشرين للمهذب المتحضر الى انسان الثقافة القديمة قبل ٥٠٠٠ سنة أو الى حالتنا البهيمية السابقة قبل عشرات الالوف من السنين . ولما كان الطفل يمثل الانسان بل الحيوان القديم كما هو واضح من أنه يمشي على أربع وينضب كثيراً ويرعب كثيراً فان الاحلام تجري على أسلوب الطفولة أي الاسلوب الذي كان يسلكه الانسان في العصور القديمة

وقد رأينا أن العاطفة المكبوتة أي الليد المحتبس اذا اندست في العقل الباطن حاول هذا أن يفرج عنها بالخواطر . فالجائع الذي كبت عاطفة الجوع تخطر في باله ألوان الطعام وهو في غفوة اليقظة أو يرى الطعام ويأكله في الحلم

فترى من هذا المثال أن الحلم هو تحقيق رغبة قامت في النفس ولم تحقق في اليقظة ، ولكن ليست كل الاحلام كذلك

فعظم الاحلام هي في الواقع صراع يحاول فيه الشخص أن يحقق رغبته فان نجح فذاك . والا فقد يستيقظ وهو ما يزال في صراع وكل ذلك يجري بأسلوب النفس القديمة أي بذلك العقل الباطن الذي لا يعرف الطرق الحديثة لحل المضكلات التي تعترضنا

فالجائع الذي حرم من الطعام قد : (١) يرى الخبز ويأكله في الحلم فيحقق بذلك رغبته . وقد : (٢) يرى الخبز في الحلم ويحاول ان يأكله فلا يقدر ، وهنا صراع بين الشهوة للطعام والامتناع منه وذلك لان العقل الباطن كما اندست فيه الشهوة للطعام كذلك

اندست فيه الرغبة في الامتناع عنه لمصلحة الشخص حتى يشفى من المرض الذي يصوم من أجله . فالعقل الباطن يرغب في بلوغ مصلحتنا على أسلوب قديم وقد يستطيع أحياناً أن يبلغ حلاً موافقاً وهذا هو علة خروجنا من الحلم بحيرة تقف عندها لا نعرف وجه الحل فيها للمعضلة التي حاول العقل الباطن أن يحلها . فهذا العقل يرغب في نجاحنا فهو ينجح لنا النجاح بتحقيق الرغبة ثم يرى الصعوبة في التحقيق فيقف حائراً وهنا يجب أن نلاحظ :

١ - أنه إذا كان النوم خفيفاً فأتانا شعر بالصراع في الحلم والحيرة وعدم تحقيق الرغبة

٢ - وإذا كان النوم تاماً (أي غير خفيف) شعرنا بتحقيق الرغبة وعلة ذلك أننا في حالة النوم الخفيف يتصل العقل الواعي بالعقل الباطن فلا يشطح العقل الباطن في أسلوبه القديم ويحقق كل رغبة فيقتل الخصم ويركب البقرة . فان العقل الواعي لحقة النوم يذهب الى سخافة ذلك فتحدث الحيرة والصراع بين تحقيق الرغبة وعدم تحقيقها اما اذا كان النوم تاماً فان العقل الواعي يكون نائماً وعندئذ يحقق العقل الباطن رغبته كما يشاء على أي طرق قديمة شاء

وهذا الصراع يبدو لنا على أوضحه في الكابوس . فانه من الواضح أن الكابوس لا يحقق شهوة من شهواتنا . وهو تقيض للخبر الذي يراه الجائع ويأكله في النوم ، فكيف تفسر الكابوس ؟ قد يحدث أن تقع بي حادثة مفرعة جداً ولكني أنجو منها ، فبعقلي الواعي اعرف اني قد نجوت وأكبت عاطفة الرعب التي لحقتني

والتي لا أذكرها حتى ينحقق قلبي ويذهل عقلي . ولكنني أكبت هذه
العاطفة . وكل عاطفة لم تترجم الى عمل إنما هي قوة تتدس في العقل
الباطن

فهذا الرعب الذي يدركني في اليقظة من وقت لآخر فيحقق
قلبي له ويذهل عقلي يدركني في النوم عن سبيل العقل الباطن كابوساً
أي رعباً قديماً كما كان يلحق آباي منذ نحو مائة ألف سنة . فمغنى
الخوف أتخيله في سقف سينقض عليّ أو ترام سيدوسني أو وحش
سيفترسني . فأحاول أن أجري فلا أقدر

ولكن لماذا لا أقدر ؟

لان الانسان القديم الذي يجري عقلي الباطن على طرقة
كان يستجيب للخوف في الغاية بالسكون التام كما يفعل بعض الحيوان
الآن كالثعلب . لان هذا السكون كان طريقاً من طرق النجاة .
فاذا أغار وحش على جماعة من الناس وانزوى واحد منهم وسكنت
جميع حركاته بحيث لا يقدر هو نفسه على الصراخ أو الحركة
لاستطاع بذلك أن ينجو من الوحش الذي قد لا يلتفت اليه ولا
يعرف مكانه . أما اذا تحرك أو صرخ فانه يلتفت اليه فيدركه ويقتله
فهذا الجمود الذي نجده في الكابوس هو طريقة العقل الباطن
في الاستجابة للرعب . لان طريقة العقل الباطن هي طريقة الاسلاف
القديماء . ولكن عندما تقترب من اليقظة يحدث صراع بين العقل
الواعي الذي يوشك ان يستيقظ والعقل الباطن . ولذلك نصرخ ثم
نستيقظ تماماً . فالصراخ يأتي في الآخر عندما تقترب اليقظة .

وهذا يتساق مع كلامنا من أن الحلم يكون في النوم الخفيف صراة
وفي النوم التام تحقيق رغبة

بقي ان نقول ان الكابوس يدل على أن الخوف كان عند آباءنا
أشد مما هو عندنا وانه كان رعباً تجمد منه أعضاؤهم . ثم خف في
أيامنا . ولعله صائر الى المحو التام من طبائعنا بحيث ان الخلف القادم
سوف لا يخاف البتة من أي شيء وذلك حين يسيطر العقل الواعي
سيطرة تامة على الجسم

الرموز في الاحلام

منذ شرع الناس يؤلون الاحلام عرفوا ان في الحلم رموزاً
ومنذ شرع الانسان يؤلف اللغات اعتمد على الرموز في تأليف
اللفظة فعرف المجاز والاستعارة وهما من الرموز وهما قوام اللغات كلها
ولذلك فانا يمكننا ان تفسر الرموز التي نجدتها في الاحلام
برموز اللغات أي بمجازاتها واستعاراتها . وقد استطاع فرود ان
يطابق بين رموز الاحلام وبين لغة المصريين القدماء

وفي هذا الفصل وفيما يليه سنعالج عدة احلام وسنذكر منها لكي
يألف القارئ طريقة النظر للحلم . وهي تنحصر في ان العقل الباطن
ينظر للعالم بواسطة الحلم نظر القدماء ويسير على ثقافتهم وأحياناً يرد
الى ما قبل ذلك من ثقافة الغابة ويجري في كل ذلك على أسلوب طفلي
ومما يجب التنبيه اليه ان الحلم لا ينبئ بالمستقبل وإنما يعبر عن
هموم صاحبه وقد يجهل صاحبه نفسه هذه الهموم . فقد تقوم في
نفوسنا عواطف بشأن الخوف او الجوع او الحب او الزابة فنكتب
هذه العواطف ونحن في وعينا وقد تنساها تماماً ولكنها قد اندست
في العقل الباطن فهي تظهر في الاحلام بأشكال مختلفة بعد مضي
السنوات على قيام العاطفة في النفس

ومما يلاحظ في الاحلام ان العقل الباطن يعبر فيها عن المعاني
المجردة بأشياء مجسمة فتحن لا نرى في الحلم الطول أو الجمال
ولكننا نرى رجلاً طويلاً أو امرأة جميلة نعي ان العقل الباطن
يرمز الى المعنى المجرد بالشيء المجسم . وهذا يتسق وما نقوله من أن
العقل الباطن يجري على أساليب التفكير القديمة أو أساليب الطفولة

ح . . . شاب في نحو الثلاثين مضى عليه نحو سبع سنوات
وهو يحلم هذا الحلم :

يرى أنه يذهب الى المحطة ويشترى تذكرة القطار ثم يقصد الى
القطار ويحاول ان يدركه فلا يمكنه لانه يقوم ويسافر قبل ادراكه
وهذا الحلم يتكرر . وأنا أعرف ظروفه فيسهل عليّ الحل بدون
أن أسأله كثيراً . فهو يتطاع الى الرقي ولكنه لا يشق بنفسه . وقد
رسمت في عقله الباطن فكرة العجز حتى صار لا يؤمل بأنه سيحقق
أغراضه في النجاح . وعقله الباطن يرمز له عن فشله بأن القطار
يفوته على الدوام

ومثل ح . . . يحتاج لكي تشفى نفسه من هذا الوهم الى
استهواء والى ان يلقي نفسه قبيل النوم بأنه ناجح في الحياة . وهذا
ما قلته له

ر . . . شاب في العشرين تغلب خواطره على وعيه وقت اليقظة
وهو يحلم حلماً يتكرر منذ سنوات . وهو أنه يرى نفسه يطير
فوق النيل

ولكي أقف على كنه هذا الحلم واعرف نيته المكبوتة في نفسه
استعنت بنحواطره واحلامه الاخرى . فسأله ان يذكر لي ما خطر
بباله عندما أسأله عن مكان الطيران في النيل فذكر لي مكان مولد
لاحد الاولياء وفيه قصف وأفراح ولعب وهو
ثم سأله ان يذكر لي حلماً آخر . فذكر حلماً حديثاً وهو انه
كان مع الملك يدفع عنه زحام الناس
فالطيران عنده رمز الى رغبته في الرقي فانه لا يفكر في أقل
من الوزارة وما يتبعها من لذة وسرور وسعادة

ج . . . يحلم أنه يسير على طريق واضح معبد ثم يرى خاله قاعداً
الى جنب الطريق وبعد ذلك يرى طريقاً ضيقاً متعرجاً فيسير فيه
في تعب وخوف حين يبلغ جداراً عالياً فيقف عنده حائراً ويستيقظ
وأنا أعرف ج . . . فلا أسأله كثيراً عن حياته . ولكني
أسأله عن خاله لاني لا أعرفه فيقول لي أنه رجل عاطل لا يربح
قرشاً وانه يكرهه

و ج . . . هذا كما اعرفه رجل كان موظفاً في الحكومة يعيش
آمناً له مرتب يتقاضاه آخر الشهر . ثم لامر ما فصل عن وظيفته .
فاشتغل بالسمسرة ولكنه لم ينجح فيها وهو أبدأ في قلق عن المستقبل
وما يخبئه له

فالطريق الواضح يمثل له توظيفه في الحكومة وأنه لا يخشى شيئاً
ثم يرى خاله وهو رمز للخيبة في الحياة ثم تتعرج أمامه الطريق
وتضيق . وهذا رمز لاعمال السمسرة التي لا يربح منها ثم يرى

الحائط يسد الطريق لانه قد دب الخوف في قلبه منذ زمن بأن
للمسيرة ستقفل في وجهه

فهذا هو طريق « الحياة » كما يتوهمه عقله الباطن . والحلم
صراع يريد هو ان ينجح فيقف عقله الباطن ويبين له ان الطريق
ضيق وانه قد ينتهي بمجدار يسده
فهنا يدرك القارئ جملة أشياء :

١ - ان الحلم يعبر عن همومه والعقل الباطن يحاول ان يحل
الموضوع ولكنه لا يقدر

٢ - ان العقل الباطن عبث عن الحية بشخص . وهذا يتسق
مع طرق القدماء في التفكير حين كانوا يعبرون عن الافكار المجردة
باشخاص . فلشر شخص ابليس وللخير شخص الاله وهم جرا

ح . . . فتاة في الثامنة عشرة نحلم ان المصور جاء لكي يصورها
وكانت في أحسن ملابسها

فالحلم في ظاهره بريء . ولكن الفتاة تهتم بالنسبة لسنها . ولما
كان الموضوع دقيقاً فأنا أسأها أسئلة أطول ان أظفر منها بكلمة
تقلت منها . والكلمة انما تقلت على غير وعيها اذا كانت خاطراً
لا سلطان للعقل الواعي عليه

فأسأها : يأخذ صورتك بكل جسمك؟
فتقول وهي لا تعي ما تقول : يأخذ وجهي
فالمصور هو رمز للزوج

هذا الحلم لي بشأن أحد اصدقائي يدعى م
حلمت اني رأيتُه قد طرد زوجته وكانت طويلة وزوج اخرى
قصيرة فقصدت اليه ألومه وأبين له خطأه فنحاني يده وقال لي ان
هذا ليس شغلي

هذا هو الحلم . وطريقي أنا في تفسير احلامي هي الطريقة التي
ينصح بها رفرز . وهو اني عند اليقظة أو بوادي اليقظة أفكر في الحلم
وأقيد الخواطر الواردة بشأنه . وبهذه الطريقة تمكنت من التفسير
الآتي :

في النهار أي قبل المساء الذي حدث فيه الحلم كنت عند صديقي
م فرأيتُه يخرج كاتبه وهو رجل طويل كنت آنس بحديثه
ويحبيء بكاتب قصير بدلاً منه . ولم يرفني هذا العمل وأخبرته بذلك
ولكن لماذا رمز العقل الباطن بالزوجة الى الكاتب ؟
لأنه يجري على الطريقة القديمة في اعتبار الزوجة خادما في البيت
يمكن طردها كما يمكن طرد الكاتب المستخدم

هذا الحلم التالي لي :
رأيتني في طائرة عمومية تسوقها امرأة وفيها امرأة اخرى تقتضي
من الركاب ثمن التذاكر وتعطيها اياهم . والطيارة مستطيلة وفيها
مقاعد على الجانبين . فلما قعدت لاحظت ان أحد الداخلين يحمل
حجة « . . . » في يده . ثم طارت الطائرة وكانت في طيارها ترتفع
كأنها في خط عمودي فذب في قلبي الخوف وأمسكت بمسند المقعد
الذي أمامي ووضعت رأسي بين يدي وأنا خائف . ثم صحت بصوت

مرتش وأنا لا أرفع رأسي من الخوف : انزلوا بقي
وكان الذي في خلفي وهو الذي يحمل مجلة « . . . » يضحك مني
ضحكاً خافتاً وممعتني السيدة التي تجمع التذاكر فقالت للسيدة التي
تسوق الطائرة : يقول انزلوا بقي

وهذا الحلم يحتاج الى شرح طويل ويحتاج الى ان أكشف
القارئ عن نفسي فاني احرق مجلة « . . . » وأعني بعض العناية
بالمقالة الافتتاحية فأحاول ان أسمو فيها الى الافكار والخواطر
العالية وكثيراً ما ذكرت فيها التقدم مقروناً الى فكرة تقدم المرأة
وسياقتها للطائرات وادارتها للاعمال الكبيرة وكثيراً أيضاً ما ذكرت
فيها الطيران وأنه رمز للحضارة الراقية. فاقترنت فكرة الرقي والتقدم
في عقلي الباطن بفكرة الطيران وتقدم المرأة

هذا من جهة . ومن جهة أخرى قام في نفسي صراع بشأن
تحرير المجلة . فنفسي تسمو الى أن أجعلها مجلة علمية جدية وهذا
في نظري معنى الرقي . ولكنني في اليوم الذي حلمت في مسائه هذا
الحلم كنت أجادل أحد الصحفيين بشأن المجلات وما يجب أن تكون
لكي تروج فاضطرت الى الاذعان لرأيه وهو ان المجلة الجدية العلمية
لا تروج . وان الجمهور يحتاج الى مادة خفيفة

ومع اذعاني فقد كان في نفسي صراع بين شيئين :

- ١ - ان تكون المجلة علمية جدية راقية ولكن قابلة للرجح
 - ٢ - ان تكون خفيفة المادة على قدر الجمهور ولكن كثيرة الرجح
- فجاء عقلي الباطن يمثل لي هذا الصراع في تلك الليلة . فجعل
للطيارة والمرأة التي تسوقها رمزاً للرقي . ثم جعلني لا أطيق هذا

الرقى . وجاء بواحد من خلفي يحمل بحلة « . . . » ويضحك مني .
والرقى المعنوي الذي أقصده جعله عقلي الباطن رقىاً محسوساً بارتفاع
الطيارة كما يفهم الطفل معنى الرقى

ي . . . يرى هذا الحلم خاصاً بصديقه ح . . .
يرى أن قريباً لصديقه ح . . . يركب أتوسيكلاً ويجري به في
سرعة فائقة . ثم يلتقي بصديقه ح . . . فيجمله على الأتوسيكل
ويجري به

هذا هو الحلم وهاك تفسيره :

ي . . . وح . . . معلمان لا يربحان كثيراً . وكل منهما ينظر
الى قريب ح . . . باعتباره رجلاً ناجحاً في الحياة . وكان ح . . .
يؤمل أن يساعده قريبه هذا ويعتقدي . . . أنه يجب عليه أن
يساعده

فالنجاح رمز عنه العقل الباطن بالسرعة لأنها في نظره تدل على
النشاط والحياة . والأتوسيكل رمز للسرعة . فقريب ح . . . يجري
بالأتوسيكل ويحمل معه ح . . . أي أنه يعبر عن رغبة صديقه في أن
يساعده

فأما ان السرعة تدل على الحياة فهذا واضح في جملة لغات .
ففي الاغريقية القديمة تشتق اللفظان من أصل واحد

ا . . . طفل في الثامنة من عمره يحلم ما يأتي :

يحلم أن في يده قرشاً يوشك أن يضيع منه فهو يقبض عليه بشدة
ولكنه يستيقظ فلا يجده

ويحلم مرة أخرى أنه يتردى من مكان شاهق فلا يزال يهوي
حتى يكاد يصطدم ويموت ولكنّه يستيقظ قبل ذلك

ويحلم أن البيت ينخسف به أرضاً وسقفاً وبناءً ويهوي نحو الأرض
فهذه أحلام كنا كلنا نحلمها ونحن صغار ، وليس فيها رموز فاتها

صريحة والاول منها يدل على اكبر هموم الطفل وهو القرش الذي
سيشتري به الحلوى ، وكثيراً ما يطلبه في اليقظة فلا يجده وكما يجد

الجائع الخبز في النوم كذلك يجد الطفل هذا القرش في يده وهو نام
ولكنه في الحلمين الآخرين يعود بنا الى الثقافة القديمة الى أيام

الغابة حين كنا نقر من الحيوان الى أعلى النصوص في الاشجار
وتعلق بها . فيكون هنا في ذلك الوقت ألا نسقط منها . وتنشأ فينا

عاطفة الخوف من السقوط فتمثل لنا سقوطاً حقيقياً في أحلامنا .
ثم هذا البيت الذي يوشك أن ينخسف هو أيضاً عاطفة الخوف قد

تمثلت في سقوط الشجرة التي كنا تعلق بها من ربح أو عاصفة
والطفل اذكر لثقافة الغابة من الشاب . ولذلك فليست تجد شاباً

أو رجلاً يحلم هذين الحلمين لان الطفل أقرب وأكثر تمثيلاً للطور
الحيواني من الشاب . بل هو يمثل في السنتين الاوليين في يقظته حين

يمشي على أربع

ص . . . يحلم هذا الحلم :

يرى صديقين أخوين له أحدهما ميت أو يشبه الميت على جنازة

محمولة ووراءه اخوه ييكه . ويقول هذا الأخ لص . . . ان أخاه لم
يمت ولكن نسرأ فقأ عينه

فيجيب ص . . . اجابة قبيحة إذ يقول : يا ليتة قتله وأجهز عليه
هذا هو الحلم وهاك تفسيره :

ان هذين الاخوين صديقان لص . . . والكل طلبة في كلية
الطب . ولكن هذا الميت يوشك أن يتقدم للامتحان النهائي . أما
أخوه الذي ييكه فطالب بعيد عن الامتحان النهائي

ولكن هذين الاخوين غير مقصودين بالذات في الحلم . وإنما
هما يقومان مقام اثنين آخرين طالين من أولاد عم ص . . . فهما
في الحقيقة رمز لهما . والمشابهة بينهما تكاد تكون تامة فان أحدهما
يوشك أن يتقدم للامتحان النهائي والآخر ما يزال بعيداً عن هذا
الامتحان في الفرقة الاولى

والذي ابتعث هذا الحلم أن ص . . . دخله شك في أن ابن عمه
سينجح في الامتحان . فرمز الى السقوط بالموت
ولكن أخاه لا يرى أن السقوط في الامتحان النهائي على خطورة
وفداحته موتاً تاماً بل هو فقء عين فقط

فرد ص . . . ويقول ان الموت أحسن . . . أي أحسن من
السقوط في الامتحان النهائي

ولكن لماذا دخل النسر في هذا الموت ؟

لما كان ص . . . صغيراً كانت امه تحكي له قصة عن قريب له قصد
الى بيروت والتحق بكلية الطب فمات هناك . وشاع وقتئذ ان نسرأ
قتله على قمة جبل لبنان . والاشاعة سخيفة بالطبع . ولكنها للجهل

الفاشي في عائلاتها كانت تحكي بهذا الأسلوب للأطفال وتحكي لص...
وكون النسر يقتل انساناً من الأشياء التي يفهمها العقل الباطن
وتتفق وطريقته ولذلك فص... يرى النسر الذي سمع في
طفولته أنه قتل قريباً له كان يطلب الطب في الحلم ويرمز بالموت الى
السقوط . حتى ان ابن عمه الآخر عندما ينبهه الى ان السقوط فقء
عين فقط يرد عليه هذا غاضباً بأنه لو كان قد مات لكان هذا أحسن
وذلك لانه كان يحب أن يرى ابن عمه ناجحاً

ففي الحلم جملة أشياء :

- ١ - رمز للسقوط في الامتحان بالموت أو بفقء العين
- ٢ - جرى على أسلوب الطفولة في ان النسور تقتل الناس وربما
كان هذا يتفق والثقافة القديمة للانسان
ولكن في الحلم شيئاً آخر وهو « النقل » وذلك ان ص...
لم ير موضوع حلمه بالذات بل نقل الموضوع الى اخوين آخرين .
وهذا كثير في الاحلام وهو ضرب من الرمز أيضاً

علم الانتحار

هذا الحلم التالي سأنتقله كما كتبه صاحبه بنفسه وقدمه للدكتور دفرز . وصاحب الحلم نفسه طيب كان يعمل في الحرب وراء الخنادق . وحدث ان جاءه جندي جريح وكانت جروحه غايه في الفظاعة ولم تمض عليه مدة طويلة حتى مات بين يديه وهو يصرخ ويئن من الالم . ولم يطق الطيب المسكين هذا المنظر فصار يحلم أحلاما مفرعة انتهت أولا بأنه كره الطب وممارسته وانتهت ثانياً بأنه فكر في الانتحار . وكان متزوجاً بامرأة من كندا وله أولاد منها فكان اذا خاطبهم في شأن تركه للطب منعوه لأنهم يعرفون أنه يعيش من هذه الحرفة وهم بالطبع لا يعرفون ما في سريرة نفسه لان من يفكر في الانتحار قلما يبوح بسره

والآن تنظر في الحلم كما كتبه هو للدكتور دفرز :
أنا قاعد على مقعد أمامي في دار التمثيل . وكان علي أن ألقى خطبة عنوانها « الكفاح الحاضر » فشعرت ان أعصابي تهيج لاني لم أكن مستقراً على رأي في هذا الموضوع إذ كان لي رأيان متناقضان وكنت انت على المسرح حينما دعيت أنا للخطابة وصعدت الى المسرح وكنت أنظر في الجمع فأرى ان كل من أعرفهم أو عرفتهم كانوا بين

هذا الجمع . فتشجعت وقلت :

« آيتها السيدات . أيها السادة . اني أريد ان أخطبكم بشأن الكفاح الحاضر »

ولكني ماكدت أبداً خطبتي حتى رأيت ان مقعدي الذي تركته بين الجمع حين صعدت الى المسرح قد قعد فيه رجل لم أره قبل ذلك . وشعرت بضرورة توجيه خطبتي الى هذا الرجل بالذات وكان يبدو لي غريباً ولكن مع ذلك كان فيه شيء يشعرنني كأنني أعرفه . وكان أحمر الوجه والشعر والعينين . ولكن كانت حدقة عينيه زرقاء قاسية في حين ان شعره كان يتوهج كالذهب

وعدت الى خطبتي وقلت : « يجب ان تقا تل حتى آخر رجل منا . وخير لنا ان نموت من أن تفقد رجولتنا واستقلالنا ونصير عبيداً لشعب اجنبي »

ولما قلت هذا رأيت الرجل القاعد في مقعدي قد نولاه حزن عميق . ومع انه كان موافقاً لاقوالي فاني سمعت حركة في الجمع تدل على المخالفة ولاحظت عندئذ ان للدار باين قد وقف على كل منهما رجل . وكان الباب الذي على يساري قد وقف عليه رجل من كندا يشبه والد زوجتي والباب الذي على يميني قد وقف عليه رجل يشبه الدكتور س . . . وعليه السترة الخاصة بفحص الجثث . ثم أخذت في خطبتي فأشرت الى ان كل شيء يتوقف على استعمالنا قوانا

وهنا رأيت الرجل الذي في مقعدي قد هتف لي وأبرقت عيناه وهنا صاح به الرجل الكندي الموكل بالباب الايسر « اسكت أنت هناك . اسكت والالجثث لك » ولوح في وجهه بالعصا .

ولاحظت عندئذ أن حول هذه العصا ثعباناً يزحف عليها ويهدد الرجل الذي في مقعدي . فامتلات رعباً ولاحظت ان الرجل الذي في مقعدي قد تغير . فانه عند ما نظر الى الرجل الكندي أظلمت عيناه واكتسى وجهه بملاحح الالم حتى كاد يكون رجلاً آخر وحتى ان شعره اسود وزال من وجهه اليباض . وتأثرت من منظره حتى نقصت ثقتي . ثم قلت :

« اني أعرف أننا قد تألمنا وأتألاً نزال تألم ونقاسي » وهنا رأيت الرجل الذي في مقعدي قد أظلم وجهه وأن أنيناً عالياً وعدت الى خطبتي فقلت : « ما أعظم الراحة التي سيعيدها اليها السلام » وهنا بدأ على وجه الرجل الذي في مقعدي ألم فظيع حتى اني شعرت أنه من الرحمة ان أقتله . وكان الدكتور س . . . الذي بالباب الايمن قد قرأ نيتي فانه ابتسم لي . ولكن الرجل الكندي الذي بالباب الايسر وضع العصا وبها الثعبان على الارض . ثم رفع كورسيه وقال : « هذا كورسيه أشد به وسطه »

وعندئذ رأيتك أنت قد دخلت وصحت : « النظام النظام . دع الرجل . استمر يا دكتور في خطبتك . الرجل مريض . مريض جداً »

فعدت الى كلامي واخبرت الحضور بانه على الرغم من آلامنا العظيمة يجب ان نستمر في الحرب وقلت : « يجب ألا نسلم يجب ألا ننحضع » ورأيت الذي في مقعدي قد تغير ثانياً . فرأيته كان قامته قد ازدادت والتمعت عيناه كأن الشرر يقدح منهما وعاد شعره ذهبياً وصاح يهتف لي . ولكن هتافه غاظ الرجل الكندي

الذي رفع العصا والثعبان يتلوى حولها وصاح به قائلاً « سأذيقه طعم هذا ». وهنا تضاعف الرجل الذي في مقعدي ثانياً وتكش. ورأيتُه يتألم آلاماً فظيعة لم أستطع أن أحمل رؤيتها وبدأت لي آلامه من عينيه حتى شعرت أنني يجب أن أقتله. وهنا ابتسم لي الدكتور من ... موافقاً لي على قتله وقال : « هذه هي الطريق للملائكة السلام » ثم تدخلت أنت وقلت ان الرجل مريض جداً . فقلت أنا : « سأريحه من شقائه » وتناولت مسدساً كان على المنضدة وقلت : « أنه لن يحس بالموت ولن يراق منه دم وسيقف تنفسه للحظة »

فقلت أنت لي : « لا تفعل . الرجل مريض جداً ولكنه سيشفى » ولكني لم أقف على رؤية الرجل وصمت على أن أطلق عليه المسدس . وبينما أنا أرفع المسدس سمعت صوت ابني وهو يقول : « لا تفعل يا أبي . لئلا تؤذيني أنا أيضاً » واستيقظت وأنا في غاية المرض والشفاء . وكان هذا الحلم أقطع ما مر بي في حياتي

انتهى ما كتبه هذا الطبيب الى الدكتور رفرز . ونحن فيما يلي سنسير مع الدكتور رفرز في تفسيره الذي هدانا له قبل أن تنقل هذا الحلم

فهذا الطبيب كان يعمل في الحنادق مدة الحرب وكان يرى جثث الجرحى والقتلى فيتألم . وأخيراً رأى جثة رجل ممزقة وسمعه وهو يئن أليماً فظيماً . فذب الرعب في قلبه وقام في عقله الباطن كره

هديد لهذه الصناعة التي تضطره الى رؤية هذه المناظر كل يوم
ولكنه يعرف ان له مائلة يجب ان تعيش وانه يجهل أي
صناعة أخرى . فهو في صراع بين أن يترك الطب مع أنه مأمون
الدخل وبين ان يبحث عن صناعة أخرى غير مأمونة الدخل .
وقد قاوض مائلة زوجته في هذا الموضوع . فأبدى أعضاء العائلة
كلهم استنكارهم لتركه الطب . ولكن آلامه كانت شديدة ففكر في
الخلاص من كل ذلك بالانتحار ولم يكن يمنعه غير الخوف على
مصير أولاده . فالحلم صراع بين جملة أشياء :

- ١ - كراهته للطب مع الثقة من الربح منه
 - ٢ - ميله الى عمل آخر مع عدم الثقة من الربح منه
 - ٣ - تفكيره في الانتحار للخلاص من هذا التردد
 - ٤ - خوفه على مصير أولاده اذا انتحر
 - ٥ - رغبته في ان تنتهي الحرب حتى يعود السلام
 - ٦ - رغبته في ان تنصرامته ولو طال الحرب
- فهذا كله اندمج في حلمه . فهو يخطب خطبة وطنية ولكنه
يشعر بالتردد فيها . ويرى رجلاً يقعد في مقعده . وهذا الرجل
الاحمر الوجه الذهبي الشعر هو نفسه قد تمثل أمامه . وقد حدث
ما سميناه في الفصل السابق بأنه « نقل » أي أنه نقل شخصه الى
شخص آخر

ولكن لماذا يكون الرجل أحمر الوجه ذهبي الشعر ؟
كان هذا الطبيب في صغره يحب أن ينشأ رجلاً بهذا الشكل .
فاندست هذه الرغبة القديمة في عقله الباطن حتى رآها في الحلم ممثلة

في الرجل الذي يقوم مقامه ويقعد في مقعده
ورأى على الباب الايسر رجلاً كندياً يشبه والد زوجته ويحمل
عصا يتلوى عليها ثعبان . وهذا الرجل يمثل عائلة زوجته . لان
زوجه كندية . والعصا والثعبان يمثلان شارة الطبيب التي توضع على
السم : وعائلته تطلب منه أن يلزم الطب ولا يتركه . ثم عاد هذا
الرجل فهدده بالكورسيه الذي تلبسه زوجته . والكورسيه رمز
للزوجة . وعلى الباب الايمن الدكتور من ... وقد ستر جسمه
بالسترة التي تستعمل عند فحص الجثث . وكان الدكتور من ... قد
اتحر منذ أشهر . فهو يقف على الباب الآخر لكي يحبب اليه
الاتجار ويذكر ملائكة السلام أي الموت الذي ينجم هذا القلق
والشقاء

وبينا الخطيب يهيم بقتل الرجل أي بقتل نفسه يخرج ابنه
ويمنعه ويقول ان الاتجار يؤذيه أيضاً . فيكف عن الاتجار
والتفسير واضح . وقد اقتنع به الطبيب وعمل بمشورة الدكتور
وفرز الذي نصح له بترك ميدان الحرب والانخراط في السلك الخاص
بصحة المدن حيث لا يرى جثة ما في حياته وحيث يقتصر عمله على
ما يشبه الهندسة من نظام الماء والبالوعات ونحو ذلك

الاعتماد والتنبؤ بالمستقبل

من يقرأ شيئاً عن الاحلام القديمة وتفسيرها يجد أن القدماء كانوا يرون في الاحلام علامات واشارات يمكن التنبؤ بها عن المستقبل وهذا أيضاً رأي العامة الآن في الاحلام

وليس ذلك بمستغرب اذا عرفنا اننا نحلم بهومنا التي نطردها عنا وقت اليقظة لاننا نكره الاشتغال بها في حالة الوعي فاذا نمنا انطلقت من حبسها وأعادتنا الينا همومنا المكبوتة في هيئة رموز يسهل تعرف اصليها احياناً . فاذا كنا نخشى شيئاً نظن انه سيقع لنا يوماً ما فان رؤيتنا له في النوم تكرر بأشكال مختلفة . فاذا اتفق ان ما نخشاه وقع بالفعل فاننا نعوذ الى الحلم صفة التنبؤ

ولكي نوضح ذلك يمكننا ان نعرض ان أمّاً مشغلة بالبال على الدوام بسلامة ابنها وتخشى عليه من ان يدوسه الترام أو الاتومبيل وتعرف من خصاله انه كثير اللعب والجري في الشوارع ولكنه لا ينتهي بزجرها . فتبقى مهمومة بشأنه . ولكن الهم مؤلم . فما دامت يقظة فهي تطرد هذا الهم لما يحدثه من الألم . ولكنها اذا نامت رأت ابنها وقد داسه الترام وجرحه . ويحدث أن ابنها يجرح في اليوم أو الاسبوع الثاني للحلم فتري هي صدق التنبؤ من الحلم . ولكن

الواقع ان أي انسان آخر يعرف انطلاق ابنها في الشوارع ويقدر متوسطاً للحوادث كان يمكنه أن يتبأ ايضاً بأنه لا بد أن تحدث حادثة لهذا الولد

حدث منذ اعوام أن باخرة خرجت من أستراليا تقصد الى انجلترا. فلما كانت في الطريق قبل أن تبلغ أحد المواني الاسيوية نزل اثنان من المسافرين لان كلا منهما حلم انها غرقت . فتشاءم من الحلم وترك الباخرة وانتظر باخرة أخرى . وما كادت الباخرة الاولى تبلغ سواحل أفريقية حتى غرقت هي ومن فيها

والقارىء لهذا الخبر يتوهم ان ما رآه الرجلان في الحلم قد تحقق وان في هذا حجة وبرهاناً على صحة التنبؤ في الاحلام . ولكن قليلاً من التأمل يبين عكس ذلك . فان الباخرة بالطبع لم تفرق إلا لخلل في آلاتها . وهذا الخلل لا يحدث فجأة وانما تكون له علامات مثل اضطراب الحركة أو الميل الزائد أو نحو ذلك . فالأغلب ان أحد هذين الرجلين لاحظ على الباخرة شيئاً من ذلك ودب في عقله الباطن خوف عليها . والبحر كالظلمة يزيد المخاوف . فربما حدث رفيقه فيما رآه غريباً في مسلك الباخرة . ولكن عادة الانسان أن يكبت العواطف المؤلمة . ولذلك فهما يسكتان عن بحث الموضوع بصراحة . فاذا نأما رأى كل منهما هذا الخوف متجسماً في غرق الباخرة . ولذلك فهما يتركانها وتغرق هي بعد ذلك بأسبوعين

وفي الحلم التالي يرى القارىء شيئاً يشبه التنبؤ . ولكنه ليس في الواقع تنبؤاً بل هو عند التحليل شيء آخر لا يقل غرابة عن التنبؤ . ثبت لنا فائدة الاحلام أحياناً لأنها تنبهنا الى أشياء نجهلها

فقد حدث أن رجلاً انجليزياً يدعى ج . . . كان راكباً للقطار .
فماصطدم القطار ووقع ج . . . وكسرت له عدة اضلاع . وعولج من
الكسر وشفي منه حسب الظاهر ومضت على ذلك سنتان والرجل
لا يرى ما يشكو منه في جسمه . ثم حدث أنه أصيب بذات الجنب التي
انتهت بخراج لم يعرف موضعه . فكان يتألم فاذا فحصه الطبيب لم
يستطع الاهتداء الى مكان الخراج

وفي أحد الايام بينما هو راقد في سريره زاره صديق فطلب منه
أن يخبر الطبيب بحادثة القطار التي مضى عليها سنتان لعل لها علاقة
بما يتألم منه . ولكن المريض ضحك وهزأ بهذه النصيحة
ونام المريض بعد ذلك ولكنه استيقظ وهو يصرخ . فلما جاءته
المرضة تسأله عن علة صراخه أخبرها بأنه حلم بحادثة القطار التي
حدثت له قبل سنتين وأخذ يشرحها لها . فلما جاء الطبيب أخبرته
المرضة كما أخبره هو بالحادثة . فعمد الطبيب الى مكان الصدمة القديمة
وفتحه وأخرج منه أكثر من رطل من الصديد . وشفي الرجل
بعد ذلك

فما هي دلالة هذا الحلم ،

دلالة أن العقل الباطن كان يدري بمكان الخراج في حين أن
العقل الواعي كان يجهله . ولذلك ما كاد العقل الباطن ينتبه قليلاً
الى الحديث في حادثة القطار حتى استعاد الذكرى ومثلها وكأنه
بذلك قد ارشد صاحبه الى مكان الخراج

ومن هذا المثل الاخير يمكننا أن نعزو الى العقل الباطن ميزة
الوقوف على تلك العلل الخفية في الجسم فاذا حللنا بأننا سنمرض

فالأغلب أن في جسمنا خللاً قد شعر به العقل الباطن ودلنا عليه
عن سبيل الحلم

وبهذه المناسبة نذكر حلاًماً يخشاه كثير من الناس ويظنون أن فيه
تنبؤاً قد يتحقق فقد يحلم شاب أن أمه قد ماتت فيشتغل باله كثيراً
وخاصة إذا كانت بعيدة عنه . ولكن ليس في هذا الحلم سوى تحقيق
شهوة . ولا نعي بذلك أن الشاب كان يشتهي موت أمه عند ما حلم
هذا الحلم . وإنما نعي أن هذا الحلم هو استعادة لشهوة قامت في نفسه
وهو صبي عند ما كان لا يقدر معنى الموت ويدرك نتيجة إدراك الشاب
له . فكثيراً ما يدعو الصبي على أمه بأن تموت ولكنه في دعائه
لا يقدر معنى الموت . وأحياناً ونحن في الشباب نستعيد شهوات الصبا
فنراها محققة ونجزع لها

الثقافة القديمة في الأحلام

قلما يحلم الانسان حُلماً يشبه حلم هذا الطبيب الذي ذكرناه فيما تقدم تحتوي مادته على لغة وكلام . وانما الاكثر أن « يرى » الحلم ولا يسمع . وهو لذلك يسمى « رؤيا » وقلما تغيب عن الحلم مادة الثقافة القديمة كما هي غائبة في حلم الطبيب الذي ليس به من علامات الاحلام سوى الرموز وذكرى الطفولة في رغبة الطبيب وهو صبي أن يكون رجلاً ذهبي الشعر أزرق العينين

فنحن في معظم أحلامنا خرس لا نتكلم وانما نرى فقط . وهذا يتفق ونظرية العقل الباطن من حيث انه خزانة الثقافة القديمة . فقد كان الانسان في بدء حياته الانسانية عقب خروجه من طوره الحيواني أخرس لا يتكلم وكان يخترع الرموز للاشياء ففي هذا الحلم كما قلنا :

١ - رموز وهي كثيرة في الاحلام

٢ - واستعادة رغبات الطفولة وهي كثيرة في الاحلام

ولكن فيه شيئاً لم تذكره للآن وهو ان الافكار مجسمة . وتجسيم الافكار هو الاصل في هذه الرموز . فالطب مجسم في شارة الطبيب في الجيش أي عصا وثمان . والواجب الزوجي مجسم في

الكورسيه التي تشد المرأة به وسطها . والانتحار بحجم في رجل
كان قد انتحر

قالافكار والآراء تتجسم لنا في الحلم أشخاصاً أو أشياء . فكلنا
نحلم بنوع من الهيروغليفية المصرية . ولكتنا نعرف أن الهيروغليفية
المصرية نشأت صوراً كل صورة تدل على أصلها . ثم تطورت فخرجت
عن هذا الاصل حتى صارت رمزاً له أو لجملة أفكار أخرى قريبة منه
وعلى هذه الوتيرة نشأت اللغات كلها . ولذلك فأتينا اذا أردنا
أن نعرف معنى الرموز التي في الاحلام وجب علينا أن ندرس اللغات
القديمة وأيضاً يجب أن ندرس رموز الشعر والفكاهة . وذلك لان
هذه الرموز تأتي في الشعر أو الفكاهة خواطر غير مقصودة فيكون
العقل الباطن هو العامل الاكبر منها . والعقل الباطن هو نفسه الذي
يحدث الاحلام

ويمكن بتحليل الالفاظ في اللغات الحديثة أن نرى فيها الرموز
العامة التي تستعمل في الحلم . وهذه الرموز العامة قليلة بالطبع لانها
لعموميتها تشمل جميع الناس من أي الشعوب واللغات ولكن لكل
أمة رموزاً خاصة تخرج من بينها فالجمل مثلاً رمز عند العربي
لا يمكنه أن يراه الاوربي في حلمه . وللقبعة رمز عند الاوربي
لا يفهمه العربي

فمن الرموز العامة أن نرى السفينة أو الزورق في الحلم ويكون
معناه عندئذ المرأة . وهذا واضح في تأنيث السفينة عند الانجليز مع
ان الجمادات في لغتهم لا جنس لها . وواضح أيضاً في أننا نسمي
السفينة في لغتنا « جارية » أي امرأة فنقول « الجوارى المنشآت »

والعرب تسمي المرأة كما سميتها التوراة « ماعوناً » فإذا رأينا ماعوناً في الحلم أدركنا منه أنه رمز للمرأة

وأحياناً يكون المنزل رمزاً للجسم . وفي الاغلب جسم المرأة إذا لم تكن قرائن الحلم منافية لهذا الغرض . ونحن في لغتنا العربية قد قرأنا هذين المعنيين فنقول « بنية » الرجل أو المرأة بمعنى جسمه وهي مشتقة من البناء . ونقول « العمود » الفقري . والاعمدة من البناء . ونقول لبطنه « جوفه » كما نقول جوف المغارة

والملابس التحتية رمز للمرأة كما رأينا في حلم سابق حين وضع الكورسيه رمزاً للزوجة واستخرجنا منه معنى الواجب الزوجي

ونحن نقول عن الموت أنه « الرحلة الاخيرة » أو « السفر البعيد » وكذلك نرى هذا المعنى رمزاً للموت في الاحلام . وهذا المعنى رآه قدماء المصريين حين شرعوا يفكرون في الموت . وليس « كتاب الموتى » الذي كانوا يضعونه مع الميت سوى الدليل الذي يهديه في ذلك السفر البعيد . ونحن عندما نريد أن نعبر عن الموت للطفل وننزل الى المعنى الذي يفهمه نقول له عن الشخص الميت الذي يسأل عنه أنه « راح بعيداً » ومن هنا نفهم الاتفاق الواقع بين لغة الطفل وأفكاره ولغة الحلم ولغة الانسان القديم

ونعبر عن الولادة بالخروج من الماء وذلك لان عقلنا الباطن يفهم أن هذه هي الحقيقة الاصلية التي يعرفها . فإنا نعيش تسعة أشهر في بطون أمهاتنا في سائل نخرج منه وقت الولادة . والاسطورة

القديمة عن موسى والنهر تدل على هذا الخطر . فالخروج من الماء
رمز في أحلامنا الى الولادة

ومعظم الرموز في الاحلام تخص الغريزة الجنسية ولكننا
لا يمكننا هنا أن نتوسع في ذكرها . ويمكننا أن نختصرها في القول
بأن الفواكه ترمز الى المرأة عند الشاب . وان الولايم ترمز الى
الرغبة في الزواج

والى القارئ حلمين يمكنه أن يحاول حلها قبل أن يقرأ الحل :
١ - ١ . . . فتاة تحلم أنها يعرض عليها معطف مثل المعطف
الذي لاحتها المتزوجة فرفض وتطلب معطفاً أوسع وأكبر
٢ - س . . . تحلم ان وحشاً قد هجم عليها يريد ان يشق
بطنها فاشتد رعبها حتى شعرت بالكابوس

فالمعطف في حلم الفتاة الاولى هو الزوج فهي ترفض ان تزوج
رجلاً يشبه زوج اختها وتطلب زوجاً أرفع منه

والوحش في حلم الفتاة الثانية هو الرجل في حالة التهيج
الجنسي . وقد كان الرجل في الازمنة البعيدة يخطف المرأة من بين
أهلها . وليس شك في ان المرأة في ذلك الوقت مع رغبتها في
الزواج كانت ترعب رعباً شديداً من هذه الحادثة . ولذلك فان عقلها
الباطن الذي اختبر هذه الاختبارات القديمة يصور لها الرغبة في
الزواج كما يفهمها من اختباراته

واذا كنا نحن في احلامنا نستعمل الرموز فان استعمالنا لها يتفق
وطريقة التفكير عند الانسان الاول . فقد رمز الى قوى الطبيعة
المعنوية بالآلهة . والاله شخص . فالانسان القديم شخص قوى الطبيعة .

فكما نرّمز نحن في الأحلام إلى الواجبات الزوجية بالكورسيه وكما
نرّمز إلى التسامي بركوب الطائرة كذلك رمز هو إلى الموت والحياة
والمرض والزراعة بأشخاص هي الآلهة القديمة . وكذلك نشأت
اللغات في الأصل رموزاً ومازلنا نحن نرى في الاستعارة والمجاز
معنى الرمز . ومعظم فكاهاتنا لا تزال قائمة على هذا الأصل

العقل الباطن في الخواطر

لكي تفهم طبيعة الخواطر يجب أن تذكر شيئين عن فروز وفروود . فكل منهما قطب من أقطاب التفلسفية الحديثة فالاول يقول ان خير طريقة يمكن استعمالها لتفسير الاحلام ان يتقن صاحب الحلم عقب حلمه واستيقاظه منه في فراشه مسترخياً يتذكر وقائع الحلم ثم يقرن الى هذه الوقائع ما يخطر في باله عنها ويقيد كل ذلك في ذاكرته ثم يقابل خواطره بوقائع الحلم فيستطيع عندئذ التفسير

وطريقة فروود هي ان يطلب من صاحب الحلم ان يترك خواطره تنساب كما تشاء فلا يقيد بها بأي قيد بشأن هذا الحلم . فاذا حلم مثلاً أن كلباً قد عضه فانه يذكر لفظة « كلب » ثم يكتب كل ما يخطر في باله عن هذه اللفظة . وكذلك لفظة « عض » فانه يذكر جميع الالفاظ التي تمر بذهنه عند ما يذكرها

فكل من فروود وفروز يستعمل الخواطر لتفسير الاحلام . والسبب في ذلك ان العاطفة المكبوتة في العقل الباطن وهي التي تحدث الاحلام وقت النوم هي نفسها التي تحدث الخواطر وقت الانعفاء حين يكون العقل الواعي غافلاً غير منتبه

فالخواطر هي في الحقيقة أحلام اليقظة . فإذا كان الحلم الذي
رأيناه في النوم قد أشكل علينا فهمه فلا بأس من أن نكمله ونفسره
بالخواطر . لأن كليهما ينبع من معين واحد هو العقل الباطن .
ولكن الخواطر تمتاز من الأحلام بأنها لا تفارق المحسوس كل
المفارقة ولا يعدو خيالها المستحيل . فإذا كان لي خصم قد أهانني ولم
أستطع رد أهاتته حتى احتبست عاطفة الغيظ في نفسي وكنت في العقل
الباطن فاني في الأحلام أجد أنني قتله أو أراه كناساً في الشارع
أو ان وحشاً يأكله . ولكنني في الخواطر لا أتمادى الى هذا الحد
في الخيال لأن عقلي الواعي ما يزال صاحباً بعض الصحو ولم يتم كل
النوم فهو لذلك يقيد خواطري ويجمعها بحري وفق الواقع أو قريباً
منه . فأنا في خواطري وأنا قاعد أفكر في خصمي لا أرى وحشاً
يأكله ولكني أراي أشتمه وأضربه وأشرح له وقاحته وغلظته
وأتخيله يتذلل لي ونحو ذلك . فالخواطر هي أحلام مخففة قد شابهها
العقل الواعي

والعقل الباطن يجري في الأحلام والخواطر على وتيرة واحدة
وهو تداعي المواقف . فالعاطفة تدعو العاطفة وتمثل الرغبة في شخص
أو شيء . وكلما كانت العاطفة قوية زادت الخواطر عنها
والعقل الباطن أكثر تصريحاً بنياتنا من عقولنا الواعي . ولذلك
كثيراً ما تكون فلتة اللسان أكشف للنية من الكلام المدبر الموزون .
لأن الكلام الموزون يصدر عن العقل الواعي وهذا إنما يعبر عن
نياته بحساب وتوق من الغلط وتقدير للظروف فلا تخرج النية صريحة .
أما العقل الباطن فإنه يصرح بها لأنه لا يحسب لشيء ما فهو يعبر عن

ورغباته بسذاجة الطفل أو أحياناً بسذاجة الحيوان

منذ أيام كنت في مجلس وبه فتاة مريضة . وكان بين الحاضرين
اثنان رجل وسيدة بينهما خصومة قديمة . فلما هم الرجل يريد الخروج
أراد أن يودع هذه السيدة فقال « سلامتك » يريد لها السلامة كأنها
مريضة مع أن السلامة كان يجب أن توجه الى الفتاة المريضة . ولكن
لأنه يرغب في مرض السيدة نسي أن يودعها الوداع العادي
الذي يودع به سائر السيدات ، فسبب نسيانه أو سبب هذه الفتلة
من لسانه هو زلة السوء التي يضررها لهذه السيدة . وهذه الزلة
صرح بها عقله الباطن على غفلة من عقله الواعي . وحدثت هذه الفتلة
وأراني في هذا الكتاب قد أخطأت جملة أخطاء يطلق عليها
مادة اسم « زلة القلم » وهذه الزلة تنسم عندي في الغالب بنسيان
حرف أو حرفين من الكلمة فبدلاً من أن أكتب « العقل الباطن »
أكتبها هكذا « العقاطن » والسبب في هذه الزلة أنه تقوم بنفسى
الرغبة في انتهاء الفصل بسرعة . فيتوهم عقلي الباطن لسخافته أن
السرعة تقتضي أن أثب من كلمة الى أخرى كما يشب الانسان في المشي
إذا أراد العجلة . فاذا سنحت له فرصة من غفلة عقلي الواعي اندفع
هو وأحدث هذه الزلة طلباً للتعجل

ففي هاتين الحالتين نرى أن النسيان الذي هو أصل فتلة اللسان
وزلة القلم كان له سبب معقول . وهكذا الحالة في كل نسيان . فنحن
لا ننسى شيئاً الا ولهذا النسيان سبب

أعرف صديقاً لي خطب فتاة وأحبها . فكان إذا أراد الذهاب
الى منزله ساقته قدماءه وهو لا يدري الى الشارع التي تسكن فيه خطيبته .

وهو لا يتبىه الا وهو على الباب فيتعجب لنفسه كيف جاء مع أنه لم يقصد المجيء

وهو إنما فعل ذلك لان عاطفة الحب قوية في عقله الباطن فهي تسارق عقله الواعي وتنهز غفلة ثم تسوق القدمين الى غرضها . وهو بالطبع لو كانت عقله الواعي متنبها لما انساق لهذه العاطفة . ولكتنا حين نمشي في الشارع لا نكون في كامل وعينا فيجد العقل الباطن الفرصة في انقاذ غرضه . ولذلك كثيراً ما نخطر لنا الخواطر وقت مشينا وكثيراً ما نرى ناساً يكلمون أنفسهم ويشيرون بأيديهم وهم سائرون في الطريق

وقد رأينا في حلم الاتحار كيف تنشأ الرغبة في الاتحار وتقدس كامنة في العقل الباطن حتى يفشيها الحلم . ولكن من الناس من يبالغ به الشقاء أن تشتد عنده الرغبة في الاتحار حتى يجد العقل الباطن فرصة في غفلة العقل الواعي فينتهزها . وقد يكون المسكين ماشياً في شارع فزل قدمه به حتى يدوسه أتوميل ويموت . فالحادثة أمام الناس قضاء وقدر أو إهمال من السائق ولكنها في الواقع اتحار قد انساق اليه المتحرج بعقله الباطن وهو لا يدري . وهو في هذا الاتحار كالحب الذي انساق الى بيت خطيبته وهو لا يدري إلا أنه أمام منزلها

وتسمع أحياناً عن رجل لطم آخر لكمة واحدة فقتله . فالحادثة ضرب أدى الى قتل حسب الظاهر ولكنها في الواقع قتل صحيح لا غش فيه . فان الضارب قد نوى القتل في عقله الباطن وأراد

المضرب بعقله الواعي ولكن النية الباطنة تغلبت على الارادة الظاهرة
وجعلت اليد تقع حيث يكون الموت نتيجة اللطمة

ففي زلة اللسان والقلم والقدم واليد ترى النية المكبوتة
في العقل الباطن تخرج وتنتهز غفلتنا حين يضعف وعينا فتحدث
هذه الزلة التي نخطئ خطأ بريئاً . ولكن النفسولوجية الحديثة تثبت
بالتحليل أنه ما من خطأ نخطئه يكون سببه النسيان إلا وله أصل في
عقلنا الباطن

ولكن ليست خواطرنا كلها زللاً . فتحن طول النهار تخطر
بألتنا الخواطر وهي تنسق والاحلام في الطريقة وتعبّر عن شهوة
كامنة أو عن صراع بين النية السكّانة في أعماق نفوسنا وبين الظروف
المحيطة بنا وتجرى في كل ذلك على طريقة الحلم من حيث الطفولة
في الاسلوب . فان مطامعنا في الخواطر لا تحد ومبالغاتها كثيرة تشبه
ما يتخيله الصبي ولكنها مع ذلك دون الحلم في الدرجة ثم هي خلو
من الرموز

ولكن يحدث فيها « النقل » أحياناً فقد رأينا في حلم الطيب
الذي رغب في الانتحار أنه نقل شخصه الى شخص آخر قد في
مقعده . وقد حدث لي مرة أن دعاني صديق الى الغداء في الريف
وكان يرافقي آخر . فجعلنا نجيول بين الحقول حتى شعرت بالجوع
فقلت لرفيقي : لا بد انك جعت جداً

والحقيقة ان الذي جاع هو أنا ولكني نقلت شخصي الى
شخصه . وليس من الواضح لأن لماذا يحدث النقل في الحلم وهو
أندر وأقل وضوحاً في الخواطر

وقد رأينا في الاحلام كيف يحاول العقل الباطن أن يسمو
بصاحبه ويرقى . وكذلك في الخواطر يحاول عقلنا الباطن أن ينجيل
لنا الرقي ويدفعنا اليه ويعمل لتطورنا من حالتنا الراهنة الى حالة أرقى .
فاذا نحن أردنا أن نقف على كنه نفوسنا وميولنا وجب علينا أن
تفحص خواطرنا وأحلامنا فهما يمثلان لنا أطماعنا في الدنيا ومشكلاتنا
الحقيقية وأخلاقنا الاصلية في نفوسنا

ولكن تحدث لنا فترات تسقط فيها خواطرنا وأحلامنا .
فالشباب المراهق ليس له من الخواطر والاحلام سوى ما يتصل
بالغريزة الجنسية وليس للجائع منها سوى ما يتصل بالطعام . وهذه
فترات أشبه بالمرض منها بالصحة كالسجين يحلم بالانطلاق من السجن
فيرى املائكة في نومه تحمله الى النافذة وتخرجه منها ويتخيل في
خواطره مئات الوسائل التي يستطيع أن يفر بها من السجن فهذه
فترات وقية يكون فيها الشخص أشبه بالمرضى فيعتمد عقله الباطن
الى تخصيص كل قواه لانقاذه . فالعقل الباطن عند المسجون لا يفكر
الا في انقاذه فيخيل له الانطلاق والحرية ووسائل الانقاذ . وعند
الجوعان ينجيل له الاطعمة وعند المراهقة تخفف العاطفة الجنسية
المحبوسة بتشخيص الحالة

ولكن كلا منا يعرف أنه يمكن بشيء قليل من العزيمة أن
توجه خواطرنا الى معان واغراض اخرى غير تلك التي يسلكها
عقلنا الباطن . فبدلاً من ان تسخيل الطعام يمكن أن تتخيل قسراً
ملكه أو غنى نبغه أو نحو ذلك مما تطمح اليه نفوسنا وفيه من القوة
ما يغمر العاطفة السابقة طائفة الجوع . واذا كانت أحلامنا مريضة

فإننا يمكننا بتهيئة العقل الباطن قيل النوم ان نوجهها الى الاغراض التي نريدها . وقد كان ابن عربي الصوفي الاندلسي يقول : « ينبغي للعبد ان يستعمل همه في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه يقظة »

وليس ذلك بالصعب اذا عمدنا الى أنفسنا قيل النوم ساعة الاسترخاء وغفوة الوسن الاولى فتخيل أشياء سامية نجب أن يشتغل بها عقلنا الباطن وقت النوم . ولا عبرة بما نشعر به عند اليقظة في الصباح حين لا نذكر أننا حلمنا بما أردنا أن نحلم به . فالأغلب أننا حلمنا ونسينا

وانما تنسى معظم أحلامنا لان العقل الواعي يكتبها عند اليقظة لانها تنافي أغراضه ومسالكه كما تنافي الواقع الذي يعرفه هو . ولذلك فان أحسن الاوقات لاستذكار الحلم هو تلك الفترة التي بين النوم واليقظة حين يكون العقل الواعي ما يزال في غفوته لم ينتبه تمام الانتباه

الكبت والتسامي

أرغب الناس في وصف الاطعمة وألوانها هو الجائع أما الشبعان
فليس أسأم لنفسه من ذلك

وكذلك أرغب الناس في وصف الجمال ولذات العشق هو
المحروم من الحب أو المقهور في عواطفه الجنسية

ومعنى هذا ان عاطفة الجوع المكبوتة قد تستحيل عند الجائع
الى نوع من الفن الوصفي وتستحيل عاطفة الحب عند العاشق الى
نوع من الادب الغرامي

وهذا هو التسامي . أي أننا تتسامى بالعاطفة الى فن من
الفنون العليا فنصرفها اليه فاذا وجدت مُنصرفاً اليه خف اليبس
المحتبس من جهة ونبتنا نحن في الفن من جهة اخرى

فالتبوع في الفنون يحتاج الى عواطف مكبوتة قد استحالت
ممارسة للفن . وذلك لان العاطفة المكبوتة في العقل الباطن طاقة
أي قوة نحاول أن تستحيل الى ارادة فعل . ولكنها لا تجد ذلك
فتنهر فرصة النوم وتستحيل حلماً أو تنتهر فرصة السهو والغفلة
فتخرج على سبيل الغلطة أو الزلة أو تجري خواطر سائبة تتخيل
فيها الحيات

ولكن هذه الطرق لا تكفي العاطفة المكبوتة اذا كانت قوية .
ولذلك يحدث كثيراً أو يتفق لنا لحسن الحظ أن تتسامى بهذه
العاطفة الى خدمة قريبة في المعنى لهذه العاطفة وبهذا يخف اليبس
(أي العاطفة المكبوتة) ونستطيع خدمة الهيئة الاجتماعية بخدمة
الفن الذي نمارسه

ولذلك يجب ان نعرف أنه اذا كانت العواطف المكبوتة تحدث
الجنون أحياناً فانها أحياناً أخرى تحدث النبوغ
منذ أكثر من ثلاثة قرون كان يعيش في اجرة بالهند أمير مسلم
وكانت له زوجة تدعى نور محل . وكان يعشقها عشق المقيم . ثم ماتت
فماذا يفعل بهذه العاطفة المتأججة في صدره عاطفة الحب ؟
كان أمامه طريقان :

١ - إما ان يخيلها له عقله الباطن شخصاً قائماً حياً يخاطبه في
وعيه ويقظته كما نرى نحن شخص الميت العزيز في أحلامنا . وهذا
هو الجنون

٢ - وأما أن يتسامى هو بهذه العاطفة الى عمل فني فيصرف
عاطفة الحب الى هذا العمل وبذلك لا يطغى العقل الباطن على وعيه
وهذا الطريق الثاني هو ما اختاره . فان حبه الماضي لزوجته
كان مؤلفاً من جملة عناصر هي الاعجاب بالجمال والافتتان به
والولاء والاخلاص للزوجة والاقامة على الحب

وهذه العناصر نفسها قد تمت له في اقامة أثر فني مصنوع من
المرمر الناصع يدقنها فيه . وقد قضى عشرين سنة وهو يبني هذا
الضريح الذي يسمى الآن « تاج محل » . فالاعجاب بالجمال الذي

كان للزوجة قد استحال اعجاباً بجمال البناء . والولاء للزوجة
والثبات على حبها قد استحال الى ولاء وثبات على حب هذا الاثر
وبذل المال في تكاليفه حتى كان راضياً بأن يقوم على بنائه ٢٠ ٠٠٠
عامل في اليوم

فعاطفة الحب للمرأة قد تسامت في هذا الامير الى عاطفة
الحب للبناء

وكذلك يمكن الشاب ان يتسامى بالعاطفة الجنسية المتأججة فيه
الى خدمة فن من الفنون الجميلة كالمثالة أو التصوير أو أي عمل
آخر يحتاج الى ما يشبه عواطف الحب . ومعظم الاعمال بل كلها
تقريباً تحتاج الى ذلك

كان لويولا مؤسس اليسوعية بعشق فتاة ثم قُهرت فيه عاطفة
الحب . فوجد منصرفاً لها في خدمة الدين المسيحي لان الولاء
لدين وحب التضحية وبذل المال والمجهود لخدمة الدين يشبه في
عناصره الحب للمرأة والولاء لها لان في الايتين معنى العبادة

وبهذا التسامي ينجو الشخص من الجنون . وكثيراً ما يحدث
الجنون لان الشخص لا يرى سبيلاً للتسامي . فقد تفقد أم وحيدها
فهو لا يفارقها في خواطرها . وهو حي أمامها في أحلامها وقت النوم
وكل هذا شيء عادي قد يحدث لنا مثله اذا فقدنا عزيزاً . ولكن
الطاقة المكبوتة عندها شديدة فما تخيله في الاحلام يتجسم لها
وقت اليقظة فلا تصدق أنه مات ويطغى العقل الباطن فلا تزال
تخاطبه وتحادثه كأنه أمامها . وهذا هو الجنون

ولكن اذا وجدت طريقاً للتسامي نجت من ذلك . وهذا

السييل إنما يكون بشيء قريب من الحب السابق لابنها كأن يوجه
نظرها الى العناية بالايام الذين يشبهون ابنها في السن . أو كان
تبنى صبياً يشبه ابنها فتكسوه بالحب الذي كانت تشعر به لابنها
وتصرف عاطفتها اليه

وأنت بالطبع قد سمعت عن « مجنون ليلى » كيف حرم من
حييته فجن . والقصة في الاغلب موضوعة لا أصل لها . ولكنها
تدل على السييل الذي تتخذه العاطفة المكبوتة اذا لم تجد سييلا الى
التسامي . ولكنه هو تسامي الى الشعر ولم يكن لذلك مجنوناً كل الجنون
وفي بعض الاحيان تجد فتاة أو سيدة قد اسنت ولكنها تفرم
بالكلاب أو القطط غراماً فظيماً اذا بحثت عن أصله لم يطل بك
البحث حتى تجد ان هذه الفتاة أو السيدة اشتاقت أن يكون لها أولاد
واشتدت بها هذه العاطفة . ولكنها كبقتها ثم اتفق ان اهدي اليها
كلب أو قط فوجدت هذه العاطفة المكبوتة مُنصرفاً الى هذا
الحيوان . فهذه الامومة الجائعة قد وجدت مقنعاً في تربية القطعة
او تربية الكلب

ولكن ليس في تربية الكلب شيء من التسامي . وإنما يحدث
هذا التسامي اذا عمدت الفتاة أو السيدة الى العناية بالايام من
الاطفال أو التصديق على الفقراء أو نحو ذلك لأنها في هذه الاعمال
تصرف حنوها الى الصبيان وتصرف ما فيها من عناصر للبذل والخدمة
الى المجموع

وعلى هذا المبدأ يجب ان تقول ان الحماسة في خدمة الفنون أو
خدمة الهيئة الاجتماعية لا تكون الا مع شيء من الكبت حتى تتجمع

القوة في العقل الباطن وتنصرف الى عمل شبيه في عناصره بعناصر
العاطفة المكبوتة

والتسامي اما أنه يأتي عمداً واما عفواً . وهو كثيراً ما يأتي
عفواً في الخواطر . فانا حين تفكر في زيادة سلطاتنا أو زيادة أدبنا
أو علمنا أو جاهنا نتسامى بعاطفة مكبوتة

ولعلك الآن قد فقهت الى العلاقة بين الغرام والادب وفطنت
الى العلة التي جعلت الادب قائماً على القصص الغرامية حتى ان ٩٩ في
المائة من الكتب الادبية هي قصص خاصة بالغرام . وكل هذا الآن
في الاديب عاطفة مكبوتة هي العاطفة الجنسية . وهذا التسامي الذي
يحدث عند الاديب يحدث مثله عند العالم والطبيب والمهندس ورجل
الدين فان في العاطفة الجنسية من العناصر ما نجهله اذا نظرنا الى
ظواهرها فقط . ولكن اذا تعمقنا في فحصها وجدنا أن فيها عنصر
الولاء والامانة وحب الجمال والرغبة في الخدمة وروح النظافة
والطهارة وحب الاولاد والتبصر للمستقبل وتكوين العائلة وما يتصل
بالعائلة من رغبة في اقتناء الثروة ونحو ذلك . ولذلك فان الاديب أو
العالم أو المهندس أو أي انسان يمكنه ان يتسامى بعاطفته الجنسية الى
واحد من هذه الوجوه . ولعلك أيضاً قد فقهت الى العلاقة بين معاني
الحب والغرام وبين الابتهال و الحب لله عند الصوفيين الندماء حتى اننا
نقرأ ابن الفارض فلا ندري موضوع حبه أهو الله أم الحمر والمرأة
وكما ان العاطفة الجنسية كانت الطريق في تطور الاحياء الى
وجود العائلة والعناية بالاولاد واجتماع القطيع وبناء العش كذلك
هي الآن السبيل الى المعاني السامية في الاجتماع البشري

العقل والجسم

ليس شك في تأثير العقل في الجسم . فالفتاة اذا خجلت احمرت وجتأها . ومعنى هذا ان خاطر الحياء الذي خطر بذهنها قد أثر في القلب وفي ناحية عروق الوجنتين حتى أحدث توردهما . والطفل اذا خاف يبول أحياناً على نفسه . واذا تسلط علينا الحزن العميق ساء هضمنا فأحياناً تقيء وأحياناً لا نستطيع أن نأكل كما ان السرور يحسن الهضم

ومعنى هذا كله ان الافكار والخواطر التي تمر بأذهانتنا يتأثر بها جسمنا . وكذلك عقلنا يتأثر من جسمنا

فقد سبق ان قلنا ان التفكير يبدأ بالمعرفة ثم العاطفة ثم الرغبة وكل عواطفنا تؤثر في أجسامنا . ولكن يمكننا استحداث العاطفة بتحريك العضو الخاص بها . فاذا تضاحكنا مثلاً وليس هناك ما يضحكنا ، فان هذا التضاحك يحدث سروراً عندنا وينتهي بنا الى الضحك الحقيقي . واذا تباكينا انتهى الباكي المصطنع بكاء حقيقي نشعر فيه بالحزن

ومعنى هذا ان الجسم يؤثر أيضاً في العقل . والواقع ان الجسم

والعقل كتلة واحدة لا يمكننا فصل أحدهما من الآخر فالتفكير يحتاج الى الاثنين معاً

وكل خاطر أو فكرة تمر بذهنتنا مهما كان مرورها خفيفاً لا بد لها من ان تحدث لنا عاطفة تؤثر فينا . وهذه العاطفة تنتهي برغبة واردة . وقد تدق علينا هذه الرغبات فلا نستطيع ان نتيقن انها في أنفسنا . ولكن وجودها لا يمكن الشك فيه

مثال ذلك أتنا نسمع قصة يقصها علينا أحد الناس ولا نزن أتنا بمعنا أسخف منها ونقوم وكأنا قد نسيناها . فإذا تمنا في الليل حلمنا بشيء عنها يدلنا على أتنا لم ننس شيئاً منها . وذلك لأن القصة أحدثت عاطفة اندست في العقل الباطن واتصلت بعواطف اخرى لا يسمح لنا وعينا باظهارها . ثم انتهزت فرصة النوم فبرزت

ولهذا العقل سلطان علينا فهو الذي يقرر ميولنا وأمزجتنا ويعمل لرفينا أو انحطاطنا وسدادنا أو خطئنا ولكن لنا نحن عليه سلطاناً أيضاً . فتحسن نستطيع أن نجعله يخدم أغراضنا بما نوحيه اليه من الخواطر والافكار . وقد توهم أنه لا يطيعنا إذ أنه خارج عن وعينا ولكن خروجه عن وعينا لا يدل على أنه خارج عن رقابتنا كل الخروج ثم للتمرين فائدته أيضاً في تذليله لمصالحنا

وهناك أمثلة عديدة تدلنا على طاعته . فقد تكون عادتنا مثلاً ان نستيقظ كل يوم في الساعة السادسة . ثم يحدث ان نحتاج الى الاستيقاظ في الساعة الرابعة حتى ندرك قطاراً يقوم في الساعة الخامسة . فكل ما نعمله أتنا قبل النوم توي النهوض الساعة الرابعة ثم تمام . فالرغبة في النهوض قد اندست في العقل الباطن الذي لا يهمل تنفيذها .

فنحن تمام مرتاحين ولكنه هو يقظ فلا تبلغ الساعة المهيئة للنهوض
وهي التي نخالف مادتنا حتى تتقلب وتقوم هاجسين بالميعاد . وقد
يعين لنا ميعاد نلتقي فيه بأحد أصدقائنا بعد خمسة أو ستة أيام . وهذا
الميعاد ننساه بالطبع لانه لو بقي ماثلاً في ذاكرتنا هذه المدة الطويلة
لأخل بأعمالنا وتفكيرنا . ولكننا عندما تقترب من ساعة الميعاد
يطفر عقلنا الباطن الى الامام ويذكرنا
وخلاصة كلامنا :

١ - ان العقل الباطن يخزن ذكرياتنا لكيلا تنوق العقل
الواعي في عمله ثم يقدمها لنا عند الحاجة

٢ - انه يطيعنا فيؤدي ما نطلبه منه وتزداد هذه الطاعة بالتمرين
حتى ان ابن عربي قال انه يمكننا أن نحلم ما نشاء في النوم
٣ - ان جميع الخواطر والافكار تؤثر في أجسامنا كخاطر
الحياة يجعل الدم يذهب الى الوجنتين
فما هي عبرة ذلك كله ؟

عبرته انه يمكننا أن نتسلط بأفكارنا على أجسامنا فنوحى مثلاً
الى عقلنا خواطر عن الصحة والنجاح فيصح جسمنا ونتجح في عملنا .
فأنت تعرف مثلاً أن الخوف يقتل بعض الناس . والخوف فكر
أو خاطر . فكونه يقتل الناس برهان قوي جداً على أن العقل يؤثر
في الجسم الى حد الموت . فقد حدث مثلاً في اليابان عند حدوث
الزلازل الاخير أن وُجد ناس قد ماتوا لا لانهم جرحوا بل لشدة
ما استولى عليهم من الرعب . وبعبارة أخرى نقول انهم ماتوا بالوهم
فاذا كان توهم الموت يحدث الموت واذا كان الفكر يقتل الجسم

فلماذا لا يحدث توهم الصحة هذه الصحة المرغوب فيها ولماذا لا يحدث توهم النجاح هذا النجاح الذي نرغب فيه ؟

يروى عن امرأة أنها كانت تخاف الضفادع . فعمد صديق الى خرقة فلقها ثم ألقاها على صدرها صائحاً : هذه ضفدع . فماتت المرأة ومعنى هذا أنه أوحى اليها أن هذه الخرقة ضفدع فصدقت وعمل الفكر في الجسم فأوقف حركة القلب فقتلها

ومما يروى عن شفاء المرضى الذين يذهبون الى الكنائس ويتشفعون بالاولياء والقديسين أنهم لا يشفون فقط من أمراضهم بل أيضاً يجدون على أجسادهم شارة الصليب مرسومة على الجسم كالجرح أو كندب الجرح . وهذا يحدث بإيحاء سابق يوحى الكاهن الى المريض بأنه بعد الصلاة والشفاء سيجد صليبا في هذا المكان أو ذاك من جسده . فيتأثر المريض ويعمل عقله الباطن في احداث هذا الجرح . وهذا بالطبع شيء يجب ألا يصدق حتى يرى عياناً إذ لا تكفي فيه الرواية . ولكن يجب مع ذلك أن نعرف أن احداث الجرح على الجلد بقوة الايحاء الذاتي ليس أخطر من احداث القيء أو الاسهال أو الموت من إيحاء الخوف أو الاشمئزاز . وإذا كان هناك فرق فهو فرق في الدرجة وليس في النوع

وحادثة الفتاة تريزا نومان الالمانية من أغرب ما ذكر وحقق من هذا النوع . وأقول « حُقق » لان جامعة ايرلانجن أوفدت لجنة من الاطباء والاساتذة لتحقيق ما يجري لهذه الفتاة التي ما تزال حية فلم يجدوا في كل ما يحدث لها غشاً أو خداعاً منها أو من أحد أقاربها

وخلصة قصة هذه الفتاة أنها أصيبت عقب حريق شب في المصنع الذي كانت تعمل فيه بغيوبة دامت معها عدة أشهر وخرجت منها وهي مصابة بالشلل في الساقين وبالعمى . ودام العمى ثلاث سنوات ثم شفيت منه ورأت رؤيا غريبة فهمت منها أنها شفيت من الشلل ولكنها ستألم آلاماً عظيمة . ونهضت من فراشها بالفعل وسارت على قدميها

وفي يوم الجمعة الكبيرة السابقة لعيد القيامة أخذت تمثّل في جسمها محاكاة المسيح وصلبه فبدت في يديها وقدميها جروح عميقة نافذة كانت تتألم منها كثيراً وكانت الدموع تنزل من عينيها وهي دم خالص . وأخيراً يتكون تحت القلب جرح واسع يدمى ولا تزال كذلك حتى يوم السبت حين تشرع الجروح تلتئم وتستفيق الفتاة وتعود الى نفسها . وبعد ذلك صارت تمثّل هذه الآلام كل يوم جمعة على طول السنة

وتفسير هذه الحادثة أن الفتاة مدة مرضها السابق عقب الحريق أوحى الى نفسها أن المسيح سيشفئها ولشدة رغبتها في الشفاء أحبت المسيح حباً عظيماً ثم لشدة هذا الحب تمثّله في نفسها فصار عقلها الباطن يحكي ما حدث له مما تعلّته وقرأته عن حياته في جسمها هي نفسها . واشتد إحياء العقل الباطن حتى مثل في جسمها آلام الصلب

ومن هنا نفهم معنى الكرامات التي تنسب الى الاولياء والصالحين والآثار المقدسة والرقى والطلاسم المكتوبة ونحو ذلك . فإن كثيرين من المرضى يشفون لأنهم يؤمنون بالشفاء اذا تمسحوا بقبر

هذا الولي أو اذا حملوا طلبها مكتوباً أو اذا رقام رجل له شهرة أو
مقام. وشفائهم يرجع في الحقيقة الى ايمانهم أي الى أنهم قد أوحوا
الى أنفسهم هذا الشفاء اذا هم تمسحوا . وهذا الايحاء اندس الى
العقل الباطن الذي تسلط على العضو المريض ووجهه نحو البرء
ولكن هذا الايحاء يمكثنا أن نعلمه لانفسنا أو لغيرنا
وكان كويه النفسولوجي الفرنسي يعمل هذا الايحاء ويجعل
المريض يمارسه بنفسه كما سنرى في الفصل الثاني

طريقة الإيحاء أو التلقين

لو قلنا لرجل صحيح الجسم سليم الأعضاء انه مريض وكان لقولنا من الوجاهة وصدق اللهجة ما يؤثر فيه ويمنع عنه الشك بالمزاح لاعتقد بمرضه وشعر بعد قليل بالمرض الذي عيناه له . وخاصة اذا كان المتكلم طبيباً له تفوذ الحرفة

ولو قلنا لرجل مريض ان وجهه كل يوم يتورد بالدم وان قوته تزداد ونور الصحة يتألق في عيائه وكررنا له ذلك في لهجة صادقة لكان لكلامنا تأثير فيه من حيث شفاؤه وخاصة اذا كان المتكلم طبيباً أيضاً

فالعقائد تقوم في النفس بالتلقين والإيحاء . وهي في ذلك تختلف من المعارف . فالمعرفة عقل وتجربة واختبار . ولكن العقيدة تلقين وإيحاء وتكرار . فالناس ينشئون على عقائد آباؤهم لأنهم يلقنونها وهم صغار وتكرر أمامهم مرات حتى ترسخ في عقولهم الباطنة ويصير نزعها أشق عليهم من الموت . واذا أردت ان تفري أحداً بأحد فليس سبيلك الى ذلك العقل وانما التكرار . وكذلك اذا أردت أن تقنع أحداً برأيك فسبيلك الى ذلك التكرار وليس المناقشة المنطقية وليست اعلانات التجار التي تراها كل يوم في الصحف سوى

نوع من التلقين والايحاء غاية ايجاد العقيدة بالتكرار في نفس القارىء . بأن الشيء المعلن عنه هو أحسن الاشياء لكي يشتريها وقد نبئت النفسولوجية الحديثة من طريقة الاستهواء أي التورم المغنطيسي . فقد وجد الذين مارسوا هذا التورم أن المريض اذا قيل له وهو نائم : أنت شفيت . قام وهو يتوهم شفاؤه ويؤمن به وينتهي ايمانه بأنه يشفى شفاءً حقيقياً في كثير من الحالات

وقد شاع الاستهواء منذ خمسين سنة ولحظ منه الذين مارسوه أن للانسان عقليين : عقل واع ، وعقل باطن . وأنه مدة الاستهواء يكون العقل الواعي نائماً ويستيقظ العقل الباطن . وهذا العقل يصدق كل ما يقال له . فلو قيل للنائم أنت في بحر . عمد الى نفسه فحرك أعضائه وضرب بذراعيه يشق الموج . واذا قيل له والوقت بارد : ان الحر قد اشتد . صدق ذلك حتى يلهث ويعرق وينفخ مع ان الحقيقة أن الوقت بارد . وليس فعل الايحاء مقصوراً على وقت الاستهواء . فقد يحدث مثلاً أن تقول للنائم : غداً تقصد الى فلان لزيارته . فلا تأتي الساعة المضروبة للزيارة حتى يكون قد ذهب وتعال بأية علة للذهاب

ومما حدث في نانسي بفرنسا حيث يمارس الاستهواء بكثرة أن قيل لاحد النائمين أنه نابليون . وقد توهم بالطبع طول مدة نومه أنه نابليون . وليس في هذا غرابة اذا عرفنا أن العقل الباطن يصدق كل ما يقال له وقت الاستهواء . ولكنه بعد ما استيقظ ونسي بالطبع كل ما قيل له مدة النوم وقف فجأة بين اخوانه بهيئة نابليون كما ترى في الصور ووضع احدى ذراعيه داخل صدره كما كان يفعل نابليون

ثم تعلق لهذا الموقف بقوله كأنه يستغرب : وماذا تفعل الآن ؟
ففي التوهم المغنطيسي نصدق كل ما يقال لنا ويستمر التصديق
حتى بعد التوهم . وإذا نظرنا الى الطريقة التي كانت تتبع في هذا
التوهم عرفنا أنه يمكن أن نجعل الاستهواء (أي التوهم المغنطيسي)
ذاتياً

فقد كان الممارس للتوهم يأتي بالشخص المراد توهمه أي استهواؤه
ثم يجعله ينطرح ثم يجعله ينظر الى جسم لامع مثل كرة من البلور
أو نحو ذلك ثم يلقنه هذه العبارة : أنت نائم . أنت نمت
ويكرر ذلك عليه نحو ٢٠ أو ٣٠ مرة فينام العقل الواعي .
ولكن العقل الباطن يبقى منتبهاً . فهما قاله المنوم يصدقه النائم
وقد مارس كويه طريقة الاستهواء الذاتي . فبدلاً من أن يقول
للمريض بعد أن ينومه : أنت شفيت . يجعل المريض نفسه يقول
لنفسه : أنا شفيت

وقد شاع الاستهواء الذاتي وهو يقوم على تكرار التلقين بعد
أن يضع الانسان نفسه في حال استرخاء ينظر فيها الى جسم لامع
حتى يتخدر العقل الواعي وينطلق العقل الباطن . ويكون ذلك أوفق
قيل النوم أو بعده . فيقول الانسان لنفسه : أنا سليم ليس بي مرض .
ويكرر هذا القول نحو ٢٠ مرة

فإذا واظب على ذلك اعتقد العقل الباطن هذه العقيدة ومار يؤثر
في أعضائه أثراً حسناً ويوجهها كلها نحو الصحة . ثم هو في الوقت
نفسه يوجه الشخص نحو كل ما من شأنه رفع الصحة ويقويها في الطعام
والنوم والشراب والعمل

أما يجب هنا أن نلاحظ أنه عند استهواء أنفسنا يجب أن نتوق
الأمر والمنع والكبت فلا نقول : يجب أن أكون سليماً . بل نقول :
أنا سليم . فتضع الإثبات والتصوير مكان الأمر . أي ان الاستهواء
يكون بالتوهم أي توهم الصحة مكان المرض

ولكي ندرك قيمة ذلك يمكننا أن نذكر الضحك . فانه اذا
اشتدت بنا عاطفة السرور ومنعناها من أن تستحيل الى ضحك انفجرت
بنا فقهقه بدل الضحك . ولكن اذا توهمنا شيئاً غير السرور كالحزن
أو الغضب زالت عنا الرغبة في الضحك

فلكي نستهي أنفسنا يجب ألا نلجأ الى الجبر والحبس والكبت
وأما نعلم الى التخيل والتوهم فتضع في ذهننا صورة الصحة مكان
المرض . وتخيّل أنفسنا أصحاء أقوياء

ولنفرض أن شاباً وقع في عادة سيئة تملكته . فسيل خلاصه
منها أن يستهي نفسه في كل فرصة يستطيع أن يسترخي فيها ويلقن
نفسه عبارة مؤداها : أنا أكره هذه العادة عادة . . . (وهنا يعينها)
ولا يزال يكرر ذلك حتى تتطبع في ذهنه عقيدة تملكه بكراهة هذه
العادة

الاستهواء والتحليل

لكل جديد طلاوته ولكل اكتشاف مبالغات تنسب إليه عند البداية . والتفلسوجية الحديثة جديدة والاقبال عليها عظيم والايمان بها أعظم . ففيها الآن كتب أميركية يباع الكتاب منها بأقل من خمسة قروش وفيها كتب أخرى ثقيلة عليها وقار الدرس يباع الكتاب بها بأكثر من جنيه

وقد شاعت المعالجة بطرقها أو بالأحرى بطريقتها : طريقة الاستهواء القديمة التي تعتمد على التلقين والايجاء وطريقة التحليل التي تعتمد على السؤال والجواب حتى يستخرج المحلل ما في العقل الباطن للمريض من النيات والاغراض التي يخفيها

ولكن الآمال الاولى التي كانت معقودة بهذا العلم الحديث قد عراها الاعتدال بعد الغلو . فمن يقرأ ما كتبه كويه أو بودوان يعتقد أن التفلسوجية قادرة على شفاء كل مرض . ولكن الذين مارسوا التحليل والاستهواء يرون أنفسهم أميل الى التوسط والاعتدال مما كانوا قبلا

ف هناك أمراض عضوية مثل الحصاة في الكلية لا يمكن أي استهواء أو تحليل أن يزيلها . وإذا بلغ التدرن درجته الأخيرة فمن العبث

أن ينصح للمريض بأن يعتمد على الاستهواء
فالمرض اذا كان عضوياً أي انه محسوس متحيز في عضو فالارجح
ان الاستهواء يزيله اذا كان مبتدئاً ولكنه لا يؤثر فيه البتة اذا
تقدم . وعندئذ يصبح من اختصاص الطبيب . ولكن الابتداء
والتقدم لفظتان تقبلان المطافان الورم قد يتقدم ومع ذلك ينحصر
للاستهواء ويؤول . والصحة قد تعتل اعتلالاً عمومياً ثم يصح الجسم
وينشط بالانحاء

ولكن الامراض التي ينجم فيها الاستهواء والتحليل هي تلك
الامراض النفسية التي تنتج عن عقيدة رسخت في العقل الباطن
وأصابت النفس فأثرت هذه في الجسم . وذلك كالصبي يعتقد أنه لا
يفهم الحساب ويفشل كل مرة في الامتحان . أو كالرجل يريد أن
ينتحر ويشعر بهذه الشهوة تملكه أو الفتاة تتوهم ان أحد الناس
قد انتهك حرمتها أو أي واحد منا يصاب بالكابوس أو يتوهم انه
ملك أو نحو ذلك

فمن حيث المعالجة تقتصر النفسولوجية الحديثة على الامراض
النفسية التي تصيب النفس . ولا يهمنا بعد ذلك أن تؤثر النفس في
الجسم الا من حيث البحث عن ماهية المرض هل هو جسماني في
الاصل كمكروب السفلس اذا بلغ الدماغ وأحدث فيه الجروح أم
هل هو نفساني حدث بعقيدة سابقة قد نسيها المريض نفسه وأحدث
هذا التأثير في العقل ثم في الجسم

ولكن الامراض الجسمانية نفسها كما أوضحناه آنفاً من تأثير
العقل في الجسم تنقاد الى حد كبير للاستهواء بالانحاء والتأقن

والآن يجب أن ننظر في الطريقتين :

١ - طريقة الاستهواء تنحصر في أن يلقن أحد الناس المريض أو يلقن المريض نفسه . فإذا كان يصاب بكابوس مزعج فإنه يقال له أو يقول لنفسه قبل النوم : أنا أنام نوماً هادئاً لا أحلم فيه البتة . ويكرر هذا القول نحو ٢٠ مرة

وتعليل هذا العلاج ان الكابوس هو نتيجة عقيدة سابقة لحادثة حدثت ربما يكون المريض نفسه قد نسيها أو نتيجة هموم غالبة في الوقت الحاضر . فهو يحاربها بعقيدة أخرى تكافحها

٢ - أما الطريقة الثانية فهي التحليل وذلك بأن يحلل الكابوس وتذكر تفاصيله ثم يذكر صاحبه ما يمر بذهنه من الخواطر وهو يذكر التفاصيل وأية عواطف يستثيرها هذا الذكر . فإذا وقف على أصل الكابوس - والاعلم انه يجد هذا الاصل في همومه الراهنة أو في حادثة قديمة وقعت في صباه - فإنه يشفى منه

والفرق بين الطريقتين ان الاولى أي الاستهواء أشبه شيء بالصباغ نضج به الحائط فوق الصبغة القديمة السابقة. والصباغ الجديد يخفي الصبغة القديمة مدة غير قليلة . ولكنه قد يجنى ويقع وتعود الصبغة القديمة الى الظهور . أما في التحليل فالتأثير على الصبغة القديمة ولا نضع شيئاً في مكانها . ولذلك فإن الكابوس قد يعود بعد الاستهواء ولكنه لا يعود بعد التحليل

وانما نلجأ الى الاستهواء اذا عجزنا عن التحليل

ومع ذلك ليس التحليل تزيافاً لكل داء نفسي . وقد رأى القاريء في فصل « حلم الانتحار » ان الدكتور رفرز قد حلل هذا

الحلم تحايلاً وافياً ثم بعد ذلك لم يقتنع بهذا التحليل بل نصح للمريض بأن يترك الطب ويشغل بصحة المدن وصيانة أنابيب الماء وبالوعات الكنف حتى لا يرى جثة

ولا بد أن القارئ قد لاحظ أن المعالجة بالاستهواء تنحصر في الالتجاء إلى العقل الباطن . أما المعالجة بالتحليل فتتخصص في الالتجاء إلى العقل الواعي . ففي الأولى نحاول أن نوهم المريض بأنه شفي وشفاءه يتوقف على قوة إيماننا وإيحائنا له بالشفاء . أما في التحليل فأتانا نواجه مع المريض حقيقة مرضه ونكشفه له ونشركه معنا في فهم علته وذلك باستثارة خواطره التي نعرف منها الصلات الخفية التي تربط تفاصيل الحلم

فالطريقة الأولى تنفع المريض الجاهل أما الثانية فيمكن استعمالها مع الشاب الراقى . وإذا اخفقت الثانية عدنا إلى الأولى

كيف نتفهم بالعقل الباطن

ان درسنا للعقل الباطن في أنفسنا وفي غيرنا يقفنا على كنه النفس البشرية ماضيها وحاضرها ويجعلنا نفهم أنفسنا ونعرف مكنوناتها . فبالاحلام نعرف الهموم السخيفة والجسدية التي نهم بها ولا ندري أحياناً أننا نهم بها . وبالحواطر الطارئة علينا في يقظتنا نعرف آمالنا وما تتشوف إليه نفوسنا

وفي الاحلام والحواطر نرى قوة اليبس وتساميه ومحاولته أن يرقى فتدرك من ذلك ان الرقي حاجة من حاجات النفس البشرية واتا لن نكون سعداء حتى ندأب في ترقية أنفسنا . فما دمنا كل يوم نتدرج نحو الرقي فتحن نشعر بهناءة العيش فاذا ما ركدنا بدأت نفوسنا تمرض حتى لقد نحب الموت عندئذ وتفكر في الانتحار

والرقي هو الطبيعة الغالبة للنفس البشرية كما أنه الطبيعة الغالبة لتطور الاحياء . فان التطور هو الارتقاء كما سبق ان ذكرنا في أول هذا الكتاب . ولكن كما يحدث في التطور ان الحيوان ينحط وينقرض كذلك يحدث للنفس البشرية أن تمرض وتموت : وذلك لانها تأتي أن تتطور

فالطبيعة الغالبة لنفوسنا التي يثبتها التطور كما يثبتها العقل الباطن

في أحلامه وخواطره هي الرقي . فنحن أبدأ نقسامي نحو
الجمال والعلم والادب والثروة والقوة والشرف . فما دنا في هذا
النسامي فنحن سعداء لا تاتنا مجري على مقتضى طبيعتنا التي اذا خالفناها
وركدنا بدانا نحس بالشقاء

فاركود علة الشقاء . وقد يأتي عفواً كما يأتي النسامي عفواً .
فذلك الطبيب الذي كان يحلم بأنه يهم بأن يقتل نفسه كان يشعر بشقائه
لأنه لم يستطع أن ينزع عن نفسه ذكرى الدماء والجروح والآلام
في الحرب ولكن بذرة النسامي ظهرت له في آخر الحلم حين خرج
له ابنه وذكره بالواجب الابوي فكف عن الانتحار . فالطفل
رمز للمستقبل الذي يجب أن نعيش كلنا له وننسى الماضي من أجله
وكما نعرف كنه أنفسنا وكنه مطامعنا وآمالتنا كذلك نعرف نيات
الآخرين نحونا والعلل التي يرجع اليها مسلكهم . فانه ما من كلمة
أو حركة تفعلها على غير وعي منا الا ولها سبب في العقل الباطن .
وما من زلة يزل فيها الفلم أو القدم أو اللسان الا ولها علة ترجع
الى طائفة ما في العقل الباطن

وبهذه المناسبة زوي قصة لفرد عمدة هذا العلم . قال
ما خلاصته :

لعرفة العيادة تندي بابان بينهما فراغ . وذلك لكي يحجز
الصوت بين من في العيادة ومن في خارجها . فاذا جاءني سيدة
تسبح عن اسمي وعن هذا العلم الذي اشتهرت به فان الاحترام لي
يملا صدرها فهي تفتح الباب الاول بعناية وتقفاه بهدوء . ثم تفتح
الباب الثاني الذي يقضي الى الغرفة فلا نجد من الأثاث ما يحقق

ظنها في الفخامة والضخامة فترك الباب الثاني دون أن تقفله حتى
أحتاج الى تنبيهها الى اقفاله . وانما أهملت اقفال هذا الباب لما سبق
الى عقلها الباطن من احترام الناس باحترام الوسط المحيط بهم
وهذا هو ما يجده كل منا في معاملات الناس في حركاتهم وتوسم
الاحترام لنا أو الاحتقار اذا كنا نحيد ملاحظة ملاحظهم التي هي
عنوان العقل الباطن وما يضره لنا . فهذا يسمع عن نكبة وقعت بنا
فيضحك وآخر يسمع القصة نفسها فيتأسف . وكل منهما يعبر عن
نيته نحونا . وقد لا يتضح الضحك أو الاسف بعلامات ظاهرة
ولكنه يستشف في الملاح

وكثيراً ما « نحس » بقلوبنا ان فلاناً هذا يحبنا أو يكرهنا لأول
رؤيته وانما يأتي هذا الاحساس من اشارات وحركات في تقاسيم
الوجه تدلنا دلالة خفية على ما يكنه في عقله الباطن من الحب
أو الكره لنا . وهي دلالة لا يستطيع اخفاءها الا بالتفات كبير .
وعندئذ تبدو زلات وهفوات تدل على أنه يتكلف

ونحن نعرف أيضاً ان العقل الباطن اذا لم يكن على وفاق في
أغراضه مع العقل الواعي حدثت لنا العصبية وكثرت الزلات
والقلبات . وتحليل خواطرننا وأحلامنا تقف على أصل الخلاف .
ولكننا بالتسامي نستطيع ان نرفع أغراض العقل الباطن الى
ما يوافق عقلنا الواعي ونزيل بذلك هذا الخلاف . وبالتالي نجعل
العقل الباطن في خدمتنا ونجنده حتى يسعى لتحقيق أغراضنا

الاستهزاء والنجاح

كان فرح أنطون فقيد الادب المصري يتوهم أنه لا بد يوماً ما من أن يعثر بعربة تكسر له ساقاً أو تفعل به ما هو شر من ذلك . وقد تحقق وهمه في أحد الايام كما شاء عقله الباطن . وذلك لان هذا الوهم كان قد اندس في عقله الباطن ولهذا العقل سلطان على أعضاء الحركة حتى تمكن مع الوعي واليقظة أن يُزل القدم نحو العربة . كما لو قلنا للبهوان الذي يمشي على الحبل أنه سيقع . فان هذا الوهم يتسرب الى عقله الباطن ويخيل له السقوط . وبعد الفكرة أي الخيال تنشأ الرغبة وان كانت رغبة غير واعية . وعندئذ يخلب على هذا البهوان المدرب أن يسقط

وقد سبق أن قلنا ان العقل الباطن يعبر عن المعاني المجردة بـخيالات محسوسة . ففي الحلم يكون الرجل العظيم ضخماً والرجل الحقير صغير الجسم . فاذا قلنا للماشي على الحبل أنه سيسقط تخيل العقل الباطن هيئة السقوط فيها يحدث للساقين من الزلل والتخيل . ولما كان من طبيعة الانسان أن يحاكي الصورة التي يراها وهو لا يدري قاتلاً يحاكي صورة السقوط في حركتنا ونسقط بالفعل وهذه المحاكاة كثيرة كلنا يفاجيء نفسه وهو يحاكي غيره على

غير وعي منه . مثال ذلك اتنازى رجلاً يسير على جبل أو سور دقيق
فتفاجيء أنفسنا ونحن نتحرك حركاته كأننا نحن القائمون دونه بالسير
على الجبل أو السور . ونحن لا نحاكيه على وعي ودراية بل على غير
وعي . أي ان العقل الباطن هو الذي يقوم بهذه المحاكاة

وقد سبق ان فهمنا أن العقل الباطن يصور لنا المعاني والافكار
المجردة في خيال محسوس . فالسقوط في نظره ليس مصدراً معنوياً
بل هو رجل يسقط . فاذا تخيلنا هذا الرجل يسقط حاكيناه في
السقوط على غير وعي فنسقط بالفعل

ومن هنا نعرف أن الرجل الذي يتخيل النجاح ينجح والرجل
الذي يتخيل الفشل يفشل لان كلا منهما يرسم صورة في عقله الباطن
يبقى طول حياته يحاكيها وهو لا يدري . فالرجل الناجح يرسم في
عقله الباطن صور النجاح من استقامة في المعاملة واعتدال في المطعم
والمشرب واقتصاد في النفقات وبجامة مع الاصدقاء وهو لرغبته في
النجاح يستهوي نفسه على غير وعي منه حتى يحب هذه الصفات نفسها
فيمارسها بلا أدنى تكلف أو مشقة . أما الرجل الذي يتخيل الفشل
فانه يرسم في عقله الباطن صوراً للخوف والاستهتار والاهمال فيستهوي
نفسه على غير وعي منه حتى يحب هذه الصفات ويمارسها

ولكن قد يسأل القارئ هنا : كيف نحجب صفات مكروهة وكيف
يشغل العقل بها مع أنها مكروهة ؟

وهنا نحتاج الى أن نعود الى أطوار التفكير فهي كما سبق أن قلنا :
معرفة ثم عاطفة ثم نزوع أي رغبة

وهذه المعرفة قد تأتي عن طريق الحواس أو عن طريق

الخواطر . فأنا أشعر بالخوف إذا رأيت عيناى رجلاً مقتولاً
أو إذا خطر هذا الحاطر في بالي (عقلي الباطن) فأنا أكره الخوف
ولكني لا أملك من أن تخطر بآلي الخواطر عن الحادثة التي رأيتها
فتحدث في عاطفة الخوف . وتبقى الخواطر تجري برأسي على غير
رغبتى

وعلى هذا النسق يحدث الفشل . فانه غرس قد نبت في العقل
الباطن وأخذ ينمو ويزكو خواطر عفوية هيء صاحبها للفشل . فكما
كان فرح أنطون يخشى الزلل أمام إحدى العربات ثم زلت قدمه
بالعقل الباطن وكما ان البهلوان يقع اذا أوهمته أنه سيقع كذلك من
توهم الفشل فقد دخل في أول درجات الفشل

قالبهلوان يقع لانه قد أوحى اليه الوقوع
ونحن نفسل أو تتجح لاتنا قد أوحينا الى أنفسنا الفشل
أو النجاح

وهذا هو معنى الايمان وقوته . لان الايمان يوحى الى النفس
الثقة والنجاح فهي تسير على هذه الهداية الى الغاية . وليس الايمان
سوى العقيدة التي تتدس الى العقل الباطن . وعلى ذلك يجب علينا
اذا أردنا أن تتجح أن نوحى الى أنفسنا هذه العقيدة

ونحن نعرف أننا نحدث في الناس عقائد مختلفة بما نقوله لهم
فلماذا لا نحدث هذه العقائد لانفسنا بما نقوله ونكرره لانفسنا ؟

ان كل كلمة تنطق بها لن تذهب هباء لانها قوة من قوى هذا
الكون . فهي تحدث معرفة ثم عاطفة ثم رغبة . فاذا كررنا على
أنفسنا عبارة كونه :

« انا في تحسن مستمر كل يوم من كل ناحية »
وخاصة في أوقات الغفوة الاولى التي قبل النوم أو الغفوة الاخيرة
بعد النوم أو عند ما نسترخي أي حين يكون العقل الباطن متنبهاً
حتى تطبع عليه هذه الخواطر حدثت في نفوسنا الرغبة في التحسن
والارتقاء وطبعت أذواقنا بهذه الرغبة فلا نمارس من الاعمال الا
ما وافق نجاحنا

ومعنى ذلك أننا نستهيو انفسنا الى النجاح بالايحاء والتلقين.
لانه ما دام الاستهواء حقيقة نراها في غيرنا كذلك هو حقيقة نراها
في أنفسنا . فبالاستهواء الذاتي يمكننا أن نوجه جهودنا الى الغاية التي
نرجو تحقيقها . وقد يكون هذا الاستهواء إيجاباً بالتلقين أو إيجاباً
بالخيال حين تترك الخواطر تنساب فتتخيل انفسنا في مراكز سامية
من حيث المال والوجاهة ونحو ذلك

وهذا الاستهواء يأتي عفواً عند العطاء . فتابايون لم يكن يفكر
قط في الهزيمة وهو لو فعل لحدث له ما يحدث للماشي على الجبل
اذا خطر بباله السقوط . وقد دب في قلبه الشك مرة واحدة وكان
ذلك في معركة وانزلوا التي انهزم فيها . ونجاح الانبياء يعزى الى قوة
عقيدتهم التي لا يعتريها الشك أصلاً فجميع خواطرهم لذلك عن
النجاح . ولذلك فهم أعرف الناس بقوة العقيدة

وقد قيل ان أمانى الصبا هي حقائق الرجولة . وهذه الاماني
هي بالطبع الخواطر الطارئة مدة الصبا تستحيل الى خيالات في
العقل الباطل تحدث رغبات تؤدي بأدنى مجهود

ولسنا نعي ان الاستهواء هو كل ما نحتاج اليه للتبوغ والبقرة

فإن لذلك شروطاً أخرى سيراها القارئ في فصل قادم . ولكننا
نعني أن الاستهواء من أهم هذه الشروط

ومجرد الرغبة الواعية في النجاح لا تؤدي إلى النجاح وإنما العبرة
بأن تنس هذه الرغبة إلى العقل الباطن حتى يكون عملها عفواً
لا تكلف فيه . ولا بأس من أن نبتدىء بوعي ودراية ولكن
يجب أن نحدث للعقل الباطن خيالات وخواطر وتلقينات حتى تتجه
قواه نحو تحقيق النجاح لأنه عندئذ لا يكلفنا أدنى مجهود محسوس
كالرجل الذي يعزف على أوتار الكمنجة يبتدىء واعياً يدرى
ما يعمل ويتعثر ويراجع نفسه حتى إذا اتقن العزف صار عزفه عفواً
لا يتكلف فهو يكلمك وهو يعزف . كذلك يحتاج الناجح إلى أن
تتجه قواه إلى النجاح وهو لا يدرى بهذا الاتجاه لأن عقله الباطن
يقوم به حتى يتوفر على عمله اليومي بعقله الواعي

النوم

من يتأمل النوم لأول وهلة يظن أنه عمل فسيولوجي محض أولى ان يكون البحث فيه من اختصاص الطبيب وأنه يكاد لا يكون له أدنى علاقة بالنفسولوجية

ولكن اذا نحن تعمقنا في بحثه ألفينا فيه من الصفات الذهنية ما هو آخرى بأن يتعلق بالنفسولوجية منه بالطب . ففيه الاحلام وفيه الكابوس وفيه المشي والحركة ثم فيه الاستعداد للإبحاء

وليس النوم نتيجة الاعياء فقط . فانه نتيجة الإبحاء أيضاً . فنحن لكي تمام محتاج عادة الى جملة أشياء توحى إلينا النوم مثل الظلام ونزع الملابس العادية والسكون والانطراح على الفراش . وقد تمام أحياناً ونحن لا نشعر بأي تعب كما أننا قد نشعر بالتعب ثم مع ذلك لا تمام . ومما يقوم دليلاً على ان في النوم عنصراً كبيراً من الإبحاء أننا نميز وقت النوم بين الاصوات فصوت الترام بل صخبه لا يوقظنا ولكن نقرة ضعيفة من الخادم على الباب تنبهنا . وقد يكون نوم الأم ثقيلاً ومع ذلك اذا بكى طفلها بكاء ضعيفاً استيقظت له . ثم هناك أيضاً مشابهة بين نوم الاستهواء والنوم الطبيعي فقد نستهي شخصاً فينام ونطلب منه أن يستيقظ في ساعة معينة له

فيستيقظ . وكذلك النائم يمكنه قبل النوم أن يوحى الى نفسه الاستيقاظ في ساعة معينة فيستيقظ . على ان النائم بالاستهواء أطوع للإحاء في هذه الحالة من النائم نوماً طبيعياً . ولكن الفرق بين الاثنين هو فرق في الدرجة وليس في النوع . ومما يزيد المشابهة بين النومين ان الشك في الحالتين يمنع النوم . فأتا اذا أصابنا سهاد ثم شكنا في أننا سننام زال عنا النوم الطبيعي . وكذلك اذا شكنا في قوة الرجل الذي يستهويننا لم يستطع إناستنا ولو تكلفنا نحن هذا النوم واجتهدنا في جلبه . بل الاجتهاد في جلب النوم هو باختبار كل واحد منا أضمن طريقة لمنعه

وهذه الملاحظة الأخيرة تبصرتنا بمعنى النوم . اذ هو في الواقع طريقة يستجيم بها العقل الواعي قوته لانه لما كان أحدث عقولنا فهو أقاها استقراراً وتأصلاً في تقوسنا وأسرعها تعباً وإعياء من العمل فهو يحتاج الى الاستجمام والراحة أكثر من غيره أي أكثر من عقولنا القديمة . ولذلك فأتا اذا جعلنا الوعي طريقة لجلب النوم فأتا بهذا الوعي نفسه يمنع النوم . لان النوم هو ازالة الوعي . فاذا اجتهدنا في جلب النوم أيقظنا وعينا ولذلك لا تمام

فما هي المهمة التي يؤديها لنا النوم ؟

هي اراحة الكفايات الجديدة في الانسان . وأجد هذه الكفايات هو العقل الواعي . لانها لما كانت جديدة فان التعب يسرع اليها . ولذلك فان كفاياتنا القديمة كلها لا تمام أو لا يصيبها النوم الا بإغفاء بسيط أو هو في الواقع تراخ . فتحن نهضم الطعام في نومنا وقد تستيقظ غريزتنا الجنسية وقت النوم وأيضاً عقلنا الباطن لا ينام

بدليل الاحلام التي نراها . وهذا التدليل يتسق وما نراه في الطبيعة من ان الحيوانات القديمة التي مضت عايشا مدة طويلة جداً وهي لا تتطور لا تمام . مثال ذلك الحملة والارضه فانهما لا تمامان مثلاً تمام نحن ثمانى ساعات كل يوم بل هي تقنع بمدة صغيرة جداً بل بعضهم يعتقد انها لا تمام البتة

وهنا يمكننا أن نقف ونسأل : هل يستمر الناس على النوم في المستقبل البعيد حين يكون العقل الواعي قد تأصل في النفس وصارت له فروع وجذور ؟ والجواب عن ذلك أننا اذا لم تنشأ لنا كفايات جديدة غير هذا العقل الواعي فالارجح اننا نستغني عن النوم . أما اذا تطورنا ونشأت لنا كفايات جديدة فانها تحتاج الى النوم . وهذا الفرض الاخير هو الارجح

ومما ذكرناه نستنتج جملة استنتاجات :

فمن ذلك أن الارق يمكن معالجته بأن نستسلم لخواطر لذبة غير منبهة لان اللذة نفسها اذا اشتدت نهت فأيقظت . ولكن نختار من الخواطر تلك التي تخطر في بالنا على غير وعي منا في النهار ولا تكون مؤلمة أو منبهة . لان هذه الخواطر هي من العقل الباطن فاذا استسلمنا لها كان ذلك منا بمثابة إنامة العقل الواعي وايقاط العقل الباطن عقل الاحلام فيطغى على وعينا وتام

وأحلامنا كلها وقت النوم هي من نشاط العقل الباطن وهي لذلك غير واعية لا نعي بها عند اليقظة الا اذا حدث حادث أذكرنا في النهار ببعض تفاصيلها فنذكرها كما اننا نستطيع تذكرها وقت الاستيقاظ

عند ما يكون العقل الباطن متنبهاً بعض التنبيه . ولسكتنا نذكر الكابوس
لأن المنبه الذي يحدث في تقوسنا

وأحياناً يحدث أن النائم يمشي ويؤدي أعمالاً إذا استيقظ نسيها
كلها أو تذكرها كما يذكر الإنسان الحلم . فما يجب ملاحظته هنا
أن المشي في النوم هو تمثيل للحلم أي أنه تأكيد للحلم بالفعل . فأنا
أحلم مثلاً أنني انتقلت من غرفة إلى غرفة ولا أتحرك . ولكن آخر
غيري يمثل هذا الحلم فيقوم وهو نائم وينتقل من غرفة إلى غرفة .
ومن الناس من يحلم أنه يتكلم وهو لا يتكلم بالفعل ولكن غيره
يحلم أنه يتكلم ثم يتكلم بالفعل

فالمشي والحركة في النوم يمثلان الحلم الذي يحلمه صاحبهما . وهما
دليل على قوة الحلم وأن العقل الباطن يسيطر على أعضاء الحركة
ويحدث في النفس من العواطف ما يبعث النشاط في أعضاء الجسم
مع نوم العقل الواعي

وتمثيل الحلم بالحركة والمشي أكثر في الأطفال والصبيان منه
في الرجال . وهذا يتسق مع ما ذكرناه من أن العقل الباطن أقوى
في الطفل والصبي منه في الرجل ولذلك فالحلم الذي يراه الرجل وهو
نائم وادع يراه الطفل قوياً يدفعه إلى الحركة والمشي

ولسكن المشي في النوم يتسم بصفة أخرى غريبة . وهي أن
النائم أحياناً يمشي على حافة مستدقة فلا يقع مع أنه لا يستطيع
أن يمشي عليها وقت اليقظة . وعلة ذلك أنه يمشي بعقل واحد هو
العقل الباطن فلا يتردد ولا يدخله الشك أو الخوف بأنه سيقع
لأن العقل الواعي الذي يبصره بالخطر نائم . فالعقل الباطن يسيطر

على أعضاء الحركة سيطرة تامة ولا يشك فيما يفعل
وقبل ان اختم هذا الفصل أرى ان ألمح للقارىء بان الجنون
النفسى يحدث اذا طغى العقل الباطن طغيانا عظيما بحيث :
١ - يصير الكابوس الذي يحدث في النوم يحدث في اليقظة فلا
يستطيع « المجنون » ان يتكلم أو يتحرك . او توهم الفتاة ان رجلا
قد انتهك عرضها في اليقظة

٢ - ينسى الشخص نفسه فيسير في الدنيا كالمشي في الحلم ويؤدي
اعمالا يستغربها منه اصدقاؤه وينساها هو اذا شفي من ذهوله وذلك
لأن العقل الباطن قد طغى على عقله الواعي وصار يسيطر على
أعضاء الجسم

أمراض النفس

تبحث التفلوجية الحديثة في أمراض النفس، أما أمراض الجسم التي تحدث تغييراً في العضو فلا علاقة لها بها . وإن كان الذين يمارسون الاستهواء يقولون بأنه يمكن شفاء هذه الأمراض الجسمية أو تخفيف آلامها بالإيجاء والتلعين . وقد كان كويه ينصح لمرضاه بممارسة الاستهواء الذاتي وقد أثبت أن بعض الأمراض الجسمية تشفى به . وكل من يعرف تأثير العقل في الجسم يجب أن يسلم بجزء كبير مما يقوله كويه ولكن الواقع الآن أن التفلوجي لا يتدخل في عدوى الحمى أو الجنون الحادث من السفلس عندما يبلغ الميكروب المادة العصبية ويتلفها أو نحو ذلك من الأمراض التي هي من اختصاص الطبيب . لأن ميدانه الأصلي هو أمراض النفس أي تلك التي تصيب النفس لا الجسم . وقد يتأثر الجسم بها تأثيراً كبيراً حتى يحدث الهزال وقد تبدو علامات جسمية كالنبيء أو نحو ذلك ولكن العلة الأصلية في النفس لا في الجسم

ويمكن أن تضرب بعض الأمثلة لهذه الأمراض :

فهناك مثلاً شخص إذا ركب القطار واستدير القاطرة قاء وهناك شخص آخر إذا أكل الجبيري قاء وأسهل . والتي يرجع في الحالتين

الى النفس لا الى الجسم . فقد ساءت تربية الاول عند ركوبه القطار
لاول مرة وأوهم بأنه سيقيء كما استدبر القاطرة فصار لهذا الوهم
أثر في نفسه يؤثر في معدته . أما الثاني فالأغلب انه حدث له حادثة
جعلته يشمئز من الجنبري كأن رآه مرة حول جثة منتنة طافية على
الماء يأكل منها . وقد ينسى كلاهما علة القيء ولكن العقل الباطن لم
ينس فهو يستعيد الذكرى على غير وعي من الشخص ويؤثر في
أعصاب المعدة فيحدث القيء

فهذان مثالان بسيطان لتأثير النفس في الجسم واحداث مرض
نفسي يعيش مدى العمر . وان كان هذا المرض خفيفاً لا يحتاج
الى علاج

ولكن هناك امراضاً نفسية كثيراً ما تؤدي بحياة اصحابها او
تلقينهم في شقاء عدة سنوات . ومعظم هذه الامراض يرجع الى ان
الحضارة الحديثة تضطرننا الى كبت شهواتنا وعواطفنا وعندئذ تتخذ
الشهوة او العاطفة جهة سبل :

١ - فقد تتسامى وتجد بذلك منفذاً تصرف اليه قوتها فلا تحدث
منها أمراض

٢ - قد تصرف الى أحلام وخواطر تخفف ضغطها

٣ - اذا اتضح للنفس ان العقل الواعي لا يشبع شهواتها أو
عواطفها عمدت الى عقولها القديمة فاعتمدت عليها . وهذه العقول لها
أساليب تبدو لنا كأنها فساد في النفوس كثيراً ما نطلق عليه اسم
الجنون . وهي في هذه الحال تشبه المقاتل الذي تفسد إحدى آلاته
الجديدة فيعود الى آلاته القديمة

فالجنون النفسي هو ردة في استجابة الجهاز العصبي الى المؤثرات الخارجية فبدلاً من أن يستجيب لها بالطرق الحديثة التي حصلت للانسان في تطوره الاخير يستجيب بالطرق القديمة وهذه الاستجابة نسميها جنوناً او انحطاطاً أو فساداً في النفس . فالنفس ترى مثلاً أن العقل الواعي قد هُزم ولم يستطع حل عاطفة خوف او حب أو نحو ذلك فهي تلجأ عندئذ الى عقولها القديمة التي كانت لها قبل ظهور العقل الواعي فتستجيب للحادث الذي أحدث هذه العاطفة أو لذكره بأساليبها القديمة

ولنتظر الآن في بعض هذه الأساليب وتدرج في ذلك من الامراض الخفيفة الى الامراض الخطيرة

١ - اذا بلغ الاعياء من أعصابنا مبلغاً عظيماً صرنا « عصبين » فاذا ممعنا ضوضاء لا تنبه الرجل الا تنسياً عادياً انتفضنا وذعرنا . ومعروف أن الطفل (الذي يمثل أسلافنا) ينتفض للصوت المفاجيء .
٢ - ومن المعروف أيضاً أن الحركة العصبية في الاطفال لا تدرج فذراعه اذا أراد أن يتناول شيئاً بها انتفضت كأنه لا يملكها وقد لا تصيب ذلك الشيء الذي يريد أن يتناوله . ولكن أعصاب الصبي أو الرجل متدرجة تصرف من قوتها في حركة الذراع على قدر المطلوب منها . ونحن اذا ضعف جهازنا العصبي لاجهاد عظيم أو لحوف شديد زالت منا خاصة التدرج فتكون حركة الذراع عندنا شبيهة بما هي عند الطفل ونحدث لنا انتفاضات تشبه انتفاضات الطفل .
(والطفل يمثل الاسلاف)

٣ - نحن نعرف أن الغالب في أحلامنا الصمت وانه اذا تنشأتنا

الكابوس أصابنا سكون في الحركة فنحاول ان نجري فلا نهدر . وقد قلنا ان الاحلام تمثل لنا أساليب العقل القديم . وعلى ذلك يحدث أحياناً أننا نرى رجلاً مريضاً صامتاً ساكن الحركة . فنبحث عن علّة هذا المرض فنجد أنه قد حدثت له حادثة قدرعته رعباً شديداً فنخرج منها في يقظته بما يشبه الكابوس في النوم لا يستطيع الكلام ولا الحركة والاستجابة للخوف عند بعض الحيوانات تقوم الآن وكانت في الاربع تقوم عند الانسان الاول او الحيوان الذي تطور الى انسان سكون الحركة حتى لا يلتفت اليه الوحش المفير في الظلام فينجو الحيوان بسكونه . أما اذا تحرك وانتفض وجري وزعق فالاربع ان الوحش المفير عليه كان يتعبه ويقتله . فالصمت والسكون طريقة قديمة للاستجابة الى الخوف . تظهر لنا الآن في أحلامنا في الكابوس . واذا كان الرعب شديداً ظهرت لنا في يقظتنا لان العقل الباطن يطغى على العقل الواعي

٤ - بعض المجانين يمشي على أربع كالحيوان أو يقعد بهيئة الشمبزي وهذه علامات واضحة في تغلب العقل القديم

٥ - نعرف ان العقل الباطن نكون عواطفه أحياناً من القوة بحيث نتكلم في الحلم . وقد تضرب شخصاً يدينا . ثم نكون أحياناً أقوى من ذلك فنقوم في الليل ونمشي ونؤدي أعمالاً أخرى ولكن اذا استيقظنا في الصباح نسيناها أو تذكرناها كما تذكر الحلم فقط . فاذا طغى العقل الباطن على العقل الواعي حدث نسيان للشخصية . فيقوم الشخص من يته ويخرج ويؤدي أعمالاً لا يدري أنه يعملها

وإذا ذُكر بها بعد ذلك أنكرها وقد تماوده فيصير له شخصيتان
كل منهما مستقلة عن الأخرى

والحُب الذي يذهب أو تحمله رجلاه وهو لا يدري إلى بيت
حييته إنما يفعل ذلك بعقله الباطن . فهو ينسى غاية طول سيره
إلى البيت ولا يتنبه إلا عند ما يرى نفسه أزاء منزل حييته . فبذرة
الجنون الذي نسميه فقدان الشخصية موجودة في كل منا تظهر
فينا عند ما يطغى العقل الباطن على العقل الواعي

والآن نرى القارئ أن الكابوس الذي يحدث لنا في الحلم إذا
كانت العاطفة التي ابتغشه قوية جداً يحدث لنا في اليقظة . وأنا نفسي
أعرف رجلاً قاجاً للصوص فرعبوه فبقي أكثر من أربع سنوات
لا يستطيع الكلام ولا الحركة فكان لا يستطيع المشي وإن كان
يقدر على تناول الطعام

هوائيات الهستيريا

النظريات باطلة أو حقة باعتبار تطبيقها على الموجودات والظواهر
فاذا أمكننا تفسيرها بنظرية ما بحيث لا نجد استثناء لا يمكن تفسيره
أمكننا ان نقول ان النظرية صحيحة
فنظرية التطور مثلاً صحيحة لأننا يمكننا بها ان نفسر بها اختلاف
الاحياء ونرى أنها تتسق معنا كلما رأينا ظاهرة جديدة من
ظواهر الحياة

وكذلك نظرية العقل الباطن صحيحة لأننا نجدها تتسق معنا في
تفسير أعمال العقل في اليقظة والنوم وفي المرض والصحة . فنهج
مثلاً نرى مصداق هذه النظرية في مرض الهستيريا
وقد كان المظنون قبلاً ان الهستيريا تصيب النساء فقط حتى ان
اسمها مشتق من معنى الرحم . ولكن الحرب الكبرى أثبتت أن
الرجال يصابون بها كثيراً . والواقع ان الرجال يصابون بها مدة
الحرب والقتال أكثر من النساء . أما في مدة السلم فالإصابة في
النساء أكثر

وفي الهستيريا نوحان أحدهما يصيب الرجال والنساء على السواء
وهو يحدث عقب الرعب والدعر . ولذلك فهو في مدة الحرب أكثر

تقشياً بين الرجال منه بين النساء لأن هؤلاء لا يتصلن بالقتال مثل الرجال . أما في مدة السلم فالإصابة بين النساء أكثر منها في الرجال لأن المرأة أكثر تعرضاً للاخطار مدة السلم من الرجل . فالرجل لا يخشى مثلها الاغتصاب الجنسي وهو أيضاً لا يفكر في أخطار الولادة . أما النوع الثاني فخاص بحياة المرأة الجنسية

ولنتظر الآن في هستيريا الخوف أو الرعب وهي النوع الأول: وعوارض هذه الهستيريا في الرجل أو المرأة أنه يصاب مثلاً بالخرس وأحياناً يستطيع الكلام المتقطع همساً . أو يصاب بجمود أحد أعضائه عن الحركة فلا يمكنه مثلاً أن يحرك ذراعه أو ساقه حتى يحتاج إلى عكازتين يمشي بهما أو يصاب بغياب الحس في ناحية من نواحي جسمه بحيث إذا وخزته بأبرة لم يتحرك ولم يتألم وقد سبق أن قلنا أن الحيوان أحياناً يستجيب للخوف أو الرعب بجمود الحركة والصمت . وإن الأغلب أن الإنسان كان في الأزمنة القديمة جداً يستجيب للخوف عند غارة وحش في الظلام بهذه الطريقة حتى ينجو بذلك منه . ورأينا في الكابوس أن هذه الطريقة ما يزال عقلنا الباطن يعمل بها بعض العمل وليس كل العمل . فأتينا وقت الكابوس في صراع بين طريقتين فنحن نحاول الهرب وأيضاً نشعر بأننا غير قادرين على الحركة للجمود الذي يستولي على أعضائنا

والأرجح في تفسير هذه الظواهر أن الإنسان كان قبلاً حيواناً انفرادياً فكان الصمت والجمود ينفعانه وينجيانه من الخطر لأن الوحش يضل عن مكانه إذا كان الوقت ظلاماً . ولكن لما

اجتمع الانسان صارت له طريقة جديدة في الاستجابة للخوف بالصراخ والجري . لأن للصراخ قيمة اتخاوية اجتماعية إذ هو ينبه سائر العائلة أو العشيرة حتى يفر أعضاؤها أيضاً وينجوا من الخطر .
فالكابوس صراع بين طريقتين في الاستجابة للخوف . ومما هو جدير بالذكر أننا عند ما نصرخ نسمع في اليقظة كأن الصراخ مقرون بالوعي

وهذا الصراع يدلنا على ان الطريقة القديمة للاستجابة للخوف ليست تامة في نفسنا وهي لا تسيطر علينا كل السيطرة ولكنها تسيطر بعض السيطرة . فنحن لانجمد تمام الجمود وتقطع عن الصراخ تمام الانقطاع

فما يحدث في هستيريا الخوف هو نفس ما يحدث لنا في الكابوس فقد يحدث انفجار قريب من المنازل التي تنزلزل منه وتتحطم بعض النوافذ ويشعر كل ساكن ان البيت سينهدم فوق رأسه ويدقنه تحت أنقاضه حياً . فيرعب رعباً شديداً . ولكن معظم السكان ينجون من هذا الرعب ويتغلبون عليه . ويبقى بعض أفراد من النساء والرجال يصابون بالخرس أو جمود الذراع أو الساق أو غياب الاحساس من اليد . فهذه الاصابات كلها هي استجابات قديمة لجأ اليها الجهاز العصبي عند ما وقعت هذه الصدمة التي أذهلت العقل الواعي لشدها فقام العقل الباطن يستجيب للخطر بطريقته القديمة وهي طريقة الجمود في اللسان والاعضاء . ولكن استجابته جزئية لم تصب الجسم كله وإنما أصابت الذراع أو اللسان أو نحو ذلك . وقد ذكرت في

الفصل السابق رجلاً أعرفه بقي صامتاً عدة سنوات لأن اللصوص
فاجشوه في منزله

وقد كثرت هذه الهستيريا في الحرب الكبرى بين الجنود .
وهذا هو ما ينتظر . والغريب أن هذه الهستيريا تخدم الجندي بحمايته
من الخطر والتعرض للقتال كما كانت تخدم الانسان القديم بحمايته من
الوحش الطارىء . فان الجندي الذي تقع بجانبه قبلة يُرعب رعباً
شديداً ويود بالطبع لو يترك القتال ولكنه لا يمكنه أن يصرح
بذلك . فيحدث عقب انفجار القبلة أن يؤذن له بترك القتال لان
ذراعه قد جمدت أو ان لسانه قد انعقد أو أنه أصيب بالعمى أو انه
لا يستطيع المشي لان ساقه قد جمدت عن الحركة . فجمود الحركة
يؤدي عند الجندي الآن تلك المهمة التي كان يؤديها عند الانسان
القديم بنتيجته من الخطر . وقد يعارض القارىء في هذا التفسير من
حيث ان الجندي الذي يصاب بجمود الحركة يتعرض للخطر أكثر
لأنه لا يمكنه الدفاع عن نفسه وقت القتال . والواقع الذي اثبتته
الحرب ان الهستيريا لا تصيب الجندي الا بعد أن يغادر المعركة بعدة
أسابيع أو أشهر . وأحياناً يصاب الجندي بنوم قد يدوم عدة أشهر
ولكن هذا النوم مصحوب بجمود الاحساس أيضاً

أما مدة السلم فالمرأة تصاب بهستيريا الخوف أكثر من الرجل
للسبب الذي ذكرناه آنفاً وهو تعرضها لخطر الولادة وخوفها
أحياناً وهي فتاة من انتهاك عرضها . ويجب ان نلاحظ ان الارجح
ان التعارف الجنسي في الازمنة القديمة جداً كان كله انتهاك عرض
ولذلك فالعقل الباطن في المرأة يتوجس من هذه الناحية توجساً

عظيماً وتحدث من ذلك هستيريا الخوف عند المرأة
ولنتظر الآن في الهستيريا الخاصة بحياة المرأة الجنسية وهي
النوع الثاني :

وقبل الكلام عن هذا النوع نذكر القارئ بأنا سبق ان قلنا
ان الاحلام قد تكون تحقيق رغبة أو شهوة كالجائع يحلم بأنه يأكل
وقد تكون صراعاً كما هو حالنا وقت الكابوس . ثم يجب ان نقول
أيضاً ان كبت الغريزة الجنسية عند المرأة أو بالاحرى الفتاة أكبر
وأشد من الكبت عند الشاب . فحرية الشاب في الاختلاط الجنسي
أكبر جداً من حرية الفتاة ثم هو له من طرق التسامي العديدة
ما يخفف عنه ضغط هذه الغريزة . أما الفتاة فان أنظمتها الاجتماعية
تحرّمها من تحقيق رغبتها ومن التسامي

نستنتج من ذلك ان ليد الرغبة الجنسية عندها أي عواطف
الحب المضغوطة في عقلها الباطن أقوى مما هو عند الشاب لأنها
لا تجد منصرفاً . ولذلك فان عقلها الباطن يطغى أحياناً على عقلها
الواعي ويحدث لها في يقظتها تلك الحركات أو التشنجات

والآن قد يتساءل القارئ : هل هذا الفصل خاص
بالفسلوجية أو بالطب ؟ والجواب ان الهستيريا مرض يصيب النفس
بحيث يبقى الجهاز العصبي سليماً ولا يمكن معالجتها بالعقاقير وإنما يثبت
عقيدة في النفس

والعلاج يتلخص في الإيحاء أي بأن يقول الانسان للمريض
بأن علته وهمية وان ذراعه مثلاً سليمة . وقد يمكن تسهيل العلاج

بأن يتدرج فيه المريض فيقال له ان اصبعه سليمة ثم يده ثم ذراعه
ويكرر ذلك عليه حتى يقطع

ولكن اذا كان لا يقطع بالايحاء البسيط فيمكن استهواؤه أي
تسويعه ثم تلقينه بأنه سليم . أو يمكن المريض أن يلقي نفسه قبيل
النوم كأن يقول لنفسه : في الصباح سأحرك ذراعي
واذا كان المريض متعلماً سهل العلاج لانه يمكن أن تفسر له
نظرية هذا الفصل فيقف على عقله الباطن ويمنعه من الطغيان

السنوه الاولى للطفل والصبي

قلما تنجح التربية في الطفل اذا اسيتت في السنوات الاولى من حياته . فقد رأينا فيما مضى من الفصول كيف اتا نحلم بأشياء حدثت لنا في طفولتنا وصبانا من أحاديث أو أساطير سمعناها أو حوادث صغيرة رُعبنا منها . فنرى هذه الحوادث أو تتجسم لنا هذه الاحاديث ونحن في سن الأربعين أو الخمسين فنعرف منها ان العقل الباطن لم ينس السنين الاولى من الحياة ولكننا نعرف ان العقل الباطن يؤثر في أخلاقنا وغاياتنا ومسلكتنا . وعلى ذلك يجب أن نقول ان السنين الاولى للطفل تكيف أخلاقه المستقبلية وترسم له غاياته التي قد يعيش لها طول عمره .

وذلك لأن الطفل يولد وعقله يكاد يكون كاللوحه يمكننا أن نكتب عليها ما نشاء . ثم هو في تلك السن حين لا يبلغ بعد الخامسة يقبل الايمحاء بكل صنوفه فتراه يحاكيها في صوتنا وفي حركاتنا يضحك مما نضحك منه ويبيكي لما نبكي له ويخاف ما نخافه فاذا رأنا رعبنا رُعب هو أيضاً لا لانه يفهم طبيعة الشيء المخوف بل محاكاة فقط لنا ولذلك نخير سبيل لتربية الطفل ألا تفعل امامه شيئاً لا نحب ان ينشأ عليه ، بل نقف منه موقف القدوة التي يحاكيها هو ويقتدي بها

وهو لا يدري . فهو اذ رآنا ناكل ونلتهم الطعام ونبدي انشراحنا
لذلك فانه لا بد ناشيء على توخي اللذة من التهام الطعام ولن يتبدل
خلقه بالنصائح والاوامر بعد ذلك . فقد اوحينا اليه في صغره ان
التهام الطعام لذيذ فنشأ في نفسه هذا الذوق . فاذا امرناه بعد ذلك
بالاعتدال والتعفف فان الامر لا يحدث في نفسه سوى الكبت الذي
يجعله يتحين الفرصة لكي يلتهم خفية ما يجده . وقد سبق أن اوضحنا
أن الامر يحدث في النفس مقاومة وقلنا اتنا اذا منعنا أنفسنا من
الضحك انفجرنا بالضحك

فتكوين الاخلاق في الطفل لا يكون بالامر وانما يكون بالقدوة
والايحاء بحيث نستحدث في نفسه رغبة تندس في عقله الباطن وهو
لا يدري فتحدث عاطفة تدفمه الى العمل
فاذا وجدنا الطفل مثلاً يلعب في أشياء قدرة فسيل اصلاحه
ألا تأمره بالكف عنها بل نبدي له اشمزازنا منها . فان هذا
الاشمزاز الذي يرى هو علاماته في وجوهنا يحدث فيه نفسه
اشمزازاً بطريق المحاكاة فيكف وحده ويكون عقله الباطن على
استواء مع عقله الواعي ليس بينهما صراع بشأن طائفة مكبوتة
يحدثها أمرنا له بالكف

والمعروف الآن الثابت من التجارب ان الطفل قليل الغرائز
يكتسب ما فيه من أخلاق وأذواق اكتساباً بالقدوة والايحاء . فهو
لا يعرف من الخوف أو بالاحرى من غريزة الخوف سوى
السقوط والصوت المفاجيء أما الظلام أو الوحوش أو ما مائل
ذلك مما يحكى عن العقاريت فلا ينحشها الا بالاكتساب . فالطفل

يبدأ يخشى الظلام اذا فتح عليه باب الغرفة المظلمة فجأة فيقرن في ذهنه صورة الظلام بالصوت المفاجيء ويبقى بعد ذلك يخشى الظلام . وقد تحكى له أسطورة عن عفريت ويوحى الراوي اليه الخوف منها فيبقى يخافها مدى حياته

أعرف شاباً كان يخشى مقابلة الاغراب فاذا أجبرته الظروف على التعرف الى رجل ما احمرت وجتاه وتجبل في حركاته وتلثم لسانه . وهذه حالة نردها عادة الى كثرة الحياء . ولكن الواقع ان هذا الشاب كان وهو صغير كثير اللعب فكان أبوه يضربه وينهره . فكان وهو طفل يخشى أباه كثيراً واندست عاطفة الخوف الى عقله الباطن فصار يخشى كل رجل يشبه أباه . وبديهي ان الخوف يشتد عند التعرف برجل غريب وأوجه المشابهة كثيرة بين الناس فلذلك كان يخشى كل رجل . فهذا الحياء الشديد الذي كان يبدو منه لم يكن في الحقيقة سوى خوفه وهو طفل من أبيه ولذلك ما كاد يعرف هو نفسه هذه الحقيقة حتى زال عنه هذا الخوف لانه استطاع أن يسيطر على عقله الباطن بعقله الواعي

ولما كان استعداد الطفل للإيماء قوياً فانا يجب أن نتمدد على الإيهام كثيراً فنوهم الطفل بأنه ذكي وانه نظيف وانه قادر حتى ينشأ وهو يحسب في نفسه هذه الصفات ويتجنب كل ما يوهم في نفسه العجز أو البلاهة . أما اذا سبق الى ذهنه أنه بليد فان هذا الوهم يقضي عليه قضاء تاماً في حياته . وقد يدفعه إيهامه بالذكاء والقدرة الى الغرور ولكن الغرور يحتاج على الدوام الى الاجتهاد للصعود الى مستواه وهو خير على كل حال من توهم العجز

فإذا صار الطفل صيماً ورأى منه والده بلادة في بعض دروسه
فإن أحسن ما يعالج به أن تقرر إلى درسه عاطفة تحركه إلى العمل .
فكثير من الصبيان يكرهون الحساب . ولكن الحساب يكون لذيذاً
جداً إذا كان خاصاً بتقود يملكونها ويتصرفون بها لأن عاطفة الامتلاك
تنبههم وتوقظ ذهنهم . وقد يجد التلميذ مشقة في تعلم اللغة الانجليزية
ولكن لو قيل له أنه سيزور إنجلترا بعد أشهر لا قبل عليها بكل قواه
وقد أمكن علاج طفل كان يكره اللغة اللاتينية ولا يطبق تعلمها بأن
يُنبت في نفسه الرغبة في أن يكون طبيباً ثم افهم بعد ذلك بأنه
لا يمكن تعلم الطب بدون اللاتينية . فأقبل على هذه اللغة الميته
بعزم جديد

ومعظم البلادة التي ترى في الصبيان لا ترجع إلى نقص ذكائهم
بل إلى عدم اهتمامهم بالموضوع الذي يدرسونه . ومعنى عدم الاهتمام
هذا أنه لم تهم في أنفسهم عاطفة بشأنه . وقد توجد المباراة بين
الصبيان هذه العاطفة أحياناً

والبيئة الحسنة أثر كبير في تكوين الذوق . فالطفل الذي ينشأ
في بيت نظيف في حي جميل سيدأب طول حياته في أن يحتفظ
بمركزه ويعيش في مثل هذه البيئة ولا يطبق النزول عنها . والطفل
الذي اعتاد مستوى معيناً من النظافة لا يمكنه أن ينحط عنه فيما بعد
والآراء والمعتقدات كلها تكتسب بالإحياء . ولذلك فإن الأبناء
ينشئون ويتعصبون لديانة آبائهم

وكما يجب أن يكون الوسط المادي والمعنوي نظيفاً راقياً في البيت
يجب أن يكون كذلك أيضاً في المدرسة . ثم يجب أن نبث في الصبي

روح البحث لا روح الاستذكار والاستظهار لانه كما تبدأ دراسته
سيفنى مدى حياته متعلقاً بالاساليب الاولى يعتقد أن الاستظهار هو
كل ما يطلب منه في هذه الدنيا . فطالب الجامعة لا ينجح ما لم يكن
وهو تلميذ في المدرسة قد بثت فيه روح البحث

وما يساعد على النشأة الحسنة للطفل أن يرى أبويه كما هما في
الحقيقة . واذا بلغ سن المراهقة أو شعر بالدوافع الجنسية التي تسبقها
يجب أن يصارح بشأنها ويوقف على حقيقتها وما فيها من أخطار
ومسرات ويوضع نصب عينيه أمنية الرجولة السليمة

ومعظم التفرضات والعقائد الفاسدة في تناول الطعام والشراب
وفي معاملة الناس تنشأ في الصغر فقد يكفي أن تسمز الام أمام طفلها
وهي تتناول الحين او اللحم فيسمز هو أيضاً عند رؤيتهما وينشأ على
كراهتهما ويحتاج الى جهد كبير لكي يمحو من عقله الباطن عقيدة
الاشمزاز منها

وسنرى بعض الامثلة عن هذا الموضوع في الفصل التالي

التفرضات

أراؤنا ومعتقداتنا تنشأ في أنفسنا عن سبيل العقل الباطن وقد
تعصب لها تعصباً يراه غيرنا حقاً وقد نراه نحن كذلك أيضاً إذا
حللناه بعقلنا الواعي . ولكننا نجد للعقيدة التي تعصب لها سلطاناً في
نفسنا واشتباكاً بطائفة من عواطفنا تمنعنا من الاقرار بأننا مخطئون
ومعظم ما تعصب له تفرضات نشأنا عليها وتكررت علينا حتى
صار لها قوة الإيحاء للعقل الباطن . وقد بينا في فصول سابقة قيمة
التكرار في إيجاد عقيدة للنفس . وهذا التكرار نفسه يحدث لنا
بجملة صور لا ننتبه لها . وقد تحدثت العقيدة في النفس بحادثة حدثت لنا
في الصبا فغرست تفرضاً في العقل الباطن لا يمكن نزعها بالعقل الواعي
أعرف شخصاً يكره التدخين ويبلغ من تفرسه أنه لو اضطر
إلى تناول سجارة بيده عمد من فوره إلى الماء ليغسلها . فلو أنه كان
ينظر بعقله الواعي إلى السجارة لعلم أنها قطعة من الورق النظيف
لا تحتوي إلا على كمية من ورق جاف لأحد النباتات . ومحال أن
يشمئز الإنسان من ورق الشجر الجاف . ولكنه هو لا ينظر بعين
المنطق إلى هذا التفرض فان في نفسه عقيدة تجعله يشمئز من السجارة
ولما كنت أعرف هذا الشخص والبيئة التي نشأ فيها استطعت أن أقف

على أصل هذه العقيدة . وهو أنه قد حدث له وهو صغير أنه كان
يخدم في منزل والديه خادم سمين ضخم . ولم تكن علاقته بهذا الخادم
مرضية له لأن هذا الخادم كان أحياناً يحمله مرغماً إلى المكتب وكان
للخادم طريقة قذرة في جمع أعقاب السجائر التي تتخلف من
الضيوف ثم يدخنها فتكون منها رائحة شنيعة تؤذي هذا الصبي . فلما
شب رسخت في عقله الباطن عقيدة الكراهة للتدخين والسجائر
وأحياناً نرى أحد الأشخاص فنستسمح منظره ومسلكه وننظر
إليه بعين الزرابة والاحتقار والتعرض . والارجح أن علة ذلك ترجع
إلى أننا قد عرفنا شخصاً يشبهه ونحن صغار حدثت بيننا وبينه حادثة
آلمتنا كأن يكون قد أخافنا أو انزع منا شيئاً أو نحو ذلك . فصورته
قد انطبعت في العقل الباطن بحيث إذا رأينا شيئاً له تحركت في نفسنا
الكراهية له . وأحياناً نرى شخصاً نستخف ظله لعكس هذا السبب
والى مثل هذا التعرض يرجع شعورنا نحو اليهود . فقد يسمع
الصبي قصة من أم جاهلة عن اليهود الذين يأكلون الصبيان فتؤثر
هذه القصة في عقله الباطن تأثيراً كبيراً . فإذا كبر نسي بالطبع هذه
القصة أو تناساها لسخافتها . ولكن العقيدة قد اندست في عقله
الباطن فهو كلما رأى يهودياً أو ذكره شعر له بالكراهية . ثم يعمد
عقله الواعي إلى أن يمسح مسحة من المنطق على هذه الكراهية
فيتهم اليهود بأنهم يشتغلون بالربا المكروه أو أنهم يكرهون الأديان
الأخرى أو نحو ذلك مما يقصد منه التبرير . ولكن السبب الحقيقي
للكراهية هو هذه القصة السخيفة التي أحدثت عقيدة راسخة في
العقل الباطن تشبه العقيدة عند كثيرين منا بأن في الظلام عفاريت

ومن الناس من يكره القطط فلا يطيق أن يكون مع قط في بيت . وترجع هذه الكراهية الى حادثة حدثت في الصفر حين أرادت الأم تخويف ابنها بالقط أو حين ذكرت أن العفريت يظهر أحياناً في هيئة قط أسود . والحادثة أو الخبر ينسأه الطفل اذا شب ولكن العاطفة راسخة في العقل الباطن

وقس على ذلك سائر تفرضاتنا . فقينا شبان يكرهون اللغة العربية لانهم كانوا يكرهون وهم تلاميذ صغار ذلك الشيخ الذي كان يدرس هذه اللغة . وقد نجد طبيباً يهودياً يعرف أن لحم الخنزير من اللحوم المغذبة ولكنه مع ذلك لا يقربه للعقيدة الراسخة في ذهنه منذ الطفولة بأنه حيوان نجس واذا هو أكل شيئاً من لحمه تكلف ذلك كمن يقاوم عاطفة كامنة في نفسه

وهناك فرق بين العقائد والمعارف . فالمعرفة تخضع للعقل الواعي وتغير أو تتطور وفقاً لما يراه من تعديل وتصحيح . ثم هي لا تحدث في أقسنا عاطفة من الحب أو الكراهية . فتحسن « نعرف » أن الارض اكبر من القمر . ولكن لو قام فلسفي وأثبت عكس ذلك لما شعرنا بالحزن أو الاسف أو الغضب وكل ما نطلبه أن نفهم كيفية تحقيق هذا القول . فاذا أثبت لنا التحقيق صحة هذا القول سكنا اليه . ولكن ربما يكون من المبالغة قولنا ان المعرفة لا تحدث عاطفة . فقد سبق أن قلنا ان التفكير هو :

معرفة ثم عاطفة ثم رغبة ثم ارادة

ولكن يبدو لنا أن المعارف العلمية يكاد لا يكون فيها عاطفة كأن التفكير يقف في طوره الاول وهو المعرفة . ولكن الواقع أن

هناك عاطفة ضعيفة هي في المثل السابق عاطفة الرغبة في الوقوف على الحقيقة ولكنها من الضعف بحيث لا نحدث لنا حزناً أو غضباً محسوساً وإن كنا أحياناً نقف أو نمشي عندما يحط ذهنتنا مدة التفكير على فكرة جلية

أما العقيدة فتخضع للعقل الباطن وهي قوة العاطفة . ولذلك فإما قد نرى الخطأ واضحاً فيها بعقلنا الواعي ولا نستطيع مع ذلك النزول عنها كهذا الذي يكره أن يلبس السجارة بيده ويشتر من ذلك حتى يحتاج إلى الاغتسال . فمعرفة تناقض عقيدته ولكن الثانية تغلب على الأولى وتكيف أخلاقه وتطبع ذوقه . ولهذا السبب يكره المؤمن أياً كان دينه أن يناقشه أحد في عقيدته مع أن العالم في الجغرافية أو الرياضة يحب المناقشة ولا يخشاه . وذلك لأن

للاول عقيدة والثاني معرفة

والآن يجب أن نلجج جملة الماعات في ضوء هذه الحقائق :
وأول ذلك أن الرجل الذكي تغلب معرفته على عقائده فهو لذلك قليل التعصب قلما يتحمس لرأي وهو أيضاً سريع التطور يسير مع الزمن . وللأمم المتمدينة في الطب والشرائع معارف وللأمم المتأخرة عقائد . ولذلك فالأولى يمكنها تغيير شرائعها أو جعلها أما الثانية فيشق عليها ذلك

وإذا كان المستقبل للعقل الواعي الذي سيزداد قوة واحاطة وسيطرة على حياتنا فإن المعارف ستفوز على العقائد . ولكن لما كانت المعارف ضعيفة العواطف بجانب العقائد فإن انسان المستقبل سيكون بلا شك ضعيف العواطف جداً لا يغضب ولا يحزن ولا يخاف

ولكن يجب هنا ان نقول ان التفكير العلمي في حالة الانسان
الراهنه من أشق الاعمال المضيئه له . وذلك لسببين :
أولاً : ان عقل الانسان لم ينشأ الا بغية البحث عن الطعام
والشراب والمرأة والسكن وانه لهذا السبب عند ما تقف على
« المعرفة » تراها تتطور الى عاطفة ثم رغبة ثم ارادة تحرك الجسم
نحو الغرض المطلوب تحقيقه ولكن لما كان التفكير العلمي مقصوداً
على المعرفة مع اهمال سائر الاطوار التالية ، فانه لذلك عمل غير
صحي للجسم يضنيه ويتعبه لانه بمثابة من يرى الطعام ويمتنع عن
الاكل

وثانياً : لما كان العقل الواعي هو اداة التفكير العلمي وهو مع
ذلك أحدث عقولنا فهو أقلها قدرة على الجهد وأسرعها شعوراً بالتعب

المركبات

المركب في الفلسفوية الحديثة هو جملة عواطف مندسة في العقل الباطن قد غابت عن الوعي ولكنها مع ذلك تؤثر في الاخلاق والميول وقد تحدث أحياناً جنوناً أو تسامياً

والمركبات أصناف عديدة . منها : مركب النقص . ومركب أوديب . ومركب الكرامة . وهذه مركبات عامة قلما تختلف في نتائجها

ولكن هناك مركبات خاصة ببعض الأشخاص كذلك الذي كان لا يطبق رؤية الحنادق ويضمي عليه عند ما يدخلها ولا يدري سبب ذلك . ولكن بالتحليل اتضح أنه وهو صغير دخل في ردهة مظلمة مستطيلة فنبحه كلب وذعره . فنشأ في عقله الباطن مركب خاص بالخوف من كل مكان مظلم ضيق

وأهم المركبات هو مركب النقص . فقد يشعر الصبي بنقص ما في كفاياته الجسمية أو الاخلاقية أو حتى العائلية فيرى انه دون أخوانه لهذا النقص . فيعتمد الى التبريز عليهم على سبيل الاعتياض من هذا النقص ويفعل ذلك وهو لا يدري ما يفعل لأن الاحساس بالنقص لا يعي هو به ولكنه مندس في عقله الباطن . ويقول أدلر : انه قد استقرى مئات من العبقريين فألفاهم كلهم قد نشؤوا على

نقص ما . فمثلا يرون الشاعر الانجليزي أعرج وكان مع عرجه
مغرمًا طول حياته بوصف جماله . وكان حيته يشكو من عينيه فعاش
طول حياته وهو يقرأ ويكتب . وكان نيتشه مريضاً يصرخ من آلام
الرأس فوضع عدة كتب في تأليه القوة وأنها الغاية التي ليس
وراءها غاية

ولنتظر نحن في حالة قرية منا هي حالة الاديب الكبير الدكتور
طه حسين . فقد أصيب بالعمى وهو صغير وأصبح الآن من كبار
زعماء الادب في مصر . فما هو تحليل مركب النقص فيه
لما أصيب بهذه العاهة رأى عجزه عن سائر الصبيان من اخوة
وأقارب واحتقارهم له أو احتياهم لما كسبه ومناواته . واندست
العقيدة بعجزه في عقله الباطن فجعلت نفسه تتشوف الطرق التي
يمكنها بها أن تتميز . ولم يكن ذلك شاقاً فان أباه أمكنه من التعلم فوجد
في الاكباب على العلم وسيلة يتميز بها . وجهد بمجوده فبرز وسبق .
ولكن يجب ألا نعتقد أنه يشعر بمركب العجز لان هذا المركب غير
واع اذ هو تابع من العقل الباطن . لكن عدم الوعي به لا ينفي أنه
قوة كبيرة تدفع الى الجهد والتبريز

ولكن مركب النقص لا ينتهي على الدوام بالتفوق . والا كان
يجب أن يتفوق الزنحي الذي يرى نفسه محتقرا للون على الاوربي
الايض . فان هذا المركب اذا لم يجد فرصة للتفوق يثقل صاحبه
ويؤخره . وهناك من يعتقد ان كثرة الوفيات بين الزوج
والامرئيين في اميركا ترجع الى مركب النقص الذي يندس في
نفوسهم وهم صفار عند ما ينشئون في محيط غربي

وسنرى في فصل قادم أن هناك شروطاً أخرى للعبرة غير
مركب النقص

ومن المركبات المهمة مركب آخر يدعى مركب أوديب . وقد
تسمى بهذا الاسم عن اوديب الملك في المأساة الاغريقية القديمة
كان أوديب هذا يزوج أمه

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن الطفل ينشأ على عداوة مستكنة
بينه وبين أبيه بشأن أمه . فهو يحبها ويغار من أبيه إذا رآه يتودد
إليها . وبعض الآباء يلذ له رؤية هذه الغيرة فيؤدي حبه لزوجته أمام
الطفل . ويظن الوالد أن هذا هو بريء . ولكن الواقع أن الطفل
ينشأ على كراهته كراهة عمياء لا يعرف علتها عند ما يشب ويصير
رجلاً لأن هذه الكراهة نشأت من الغيرة وأندست في عقله الباطن
وتولد منها « مركب أوديب »

وأحياناً يرى الصبي أو الشاب في الحلم أباه ميتاً . وقد يصعب
تفسير ذلك لأول وهلة لأن الموت هنا لا يمكنه أن يدل على رغبة
الشاب . ولكن إذا تذكرنا مركب أوديب عرفنا أن الموت هنا يعبر
عن رغبة صبيانية قامت في نفس الصبي عند ما سمعته الغيرة . والاحلام
كما قلنا تعبر عن رغبات الطفولة أحياناً

ولهذا المركب أثره في حياة الشاب . فانه يجعله يختار من الفتيات
عند ما يريد الزواج فتاة تشبه أمه . وهذا ما يقع لكل شاب تقريباً
ولكن لهذا المركب أضراراً إذ قد يجعل الشاب لشدة تعلقه
بأمه يخشى الخروج الى الدنيا ولا يطبق فكرة الزواج لأن عقله
الباطن يوهمه أن الزواج خيانة لأمه لأنه يجب أن يقع بها . وأحياناً

يجعله لكرامته لا يكره الرجولة كلها فيستأنث في أخلاقه وميوله
وينضب لامارات المراهقة التي يراها في نفسه

أما مركب الكرامة فانه يصيب الرجل اذا أفلس أو اذا نزل
به نكبة كبيرة فجعله مهاناً فانه يقوم بنفسه أنه ملك أو يدعي أنه
ملك أحد المصانع كما شرح ذلك ولز في قصته « سرجون : ملك
الملوك » التي عا د فيها « والد كرسينا البرتا » فان هذا الرجل يشعر
بخيانة زوجته وان عيشته معها غير طاهرة وأنه مهان فيعمد عقله
الباطن الى ما يقابل ذلك من ناحية السمو والكرامة فيتخيل نفسه
ملكاً . وجنونه هنا هو جنون التسامي والرغبة في الرقي

ولكل منا عدة مركبات تؤثر في أخلاقه وقد ترجع بعض
التعرضات الى مركبات ضعيفة

كيف تكونه الآراء والمقائم

جوستاف لوبون كاتب فرنسي قد درس التسلوحيّة الحديثة وعرف قيمة العقل الباطن في الآراء والمقائم السياسيّة والدينيّة ودرس الوسائل التي تكون بها . وسنقل فيما يلي بضع فقرات منه في هذا الموضوع كما نقلها الأستاذ زعير في كتاب « الآراء والمعتقدات » مع تقييح بسيط حتى يجري الكلام وفق التعابير المتبعة في هذا الكتاب

ويمكن القارئ ان يتذكر حوادث سنة ١٩١٩ في مصر وأيضاً نفوذ سعد باشا زغلول في الحركة الوطنيّة فيرى فيها كلها مصداق أقوال جوستاف لوبون . فهو يقول ان الآراء تنتشر بالتوكيد والتكرار والمثال والنفوذ والعدوى

فاذا تأمل القارئ هذا الكلام وجد ان المعنى ينحصر في أن الأبحاث يحدث العقيدة أو الرأي أو التفرّض . وان طرق هذا الأبحاث عديدة تحدث أحياناً بالتوكيد والتكرار أي بالتلقين وبالمثال أي بالقدوة وبالنفوذ (كذلك النفوذ الذي كان لسعد باشا زغلول من اسمه وتاريخه وجهاده) وأخيراً بالعدوى يعني المحاكاة فالآراء والمقائم تنتشر في الأمة ولا سلطان للعقل الواعي عليها

لأن هذا العقل يطلب التجربة والبرهان وقليل من الناس من
يعتمد عليها

يقول جوستاف لوبون :

ان التوكيد والتكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها
واليهما تستند الترية في كثير من المسائل . وبهما يستعين رجال
السياسة والزعماء كل يوم في خطبهم ولا يحتاج التوكيد الى دليل عقلي
يدعمه . وإنما يقتضي أن يكون وجيزاً حماسياً ذا وقع في النفس
والتوكيد لا يلبث بعد أن يكرر تكراراً كافياً أن يحدث رأياً ثم
معتقداً . والتكرار هو تمة التوكيد الضرورية . ومن كرر لفظاً أو
فكراً أو صيغة تكريراً متتابعاً فقد حول هذا اللفظ أو الفكر أو الصيغة
الى معتقد . وإذا نظرنا الى سلسلة الرجال التي تبدى بمؤسس
الديانة وتنتهي بالتاجر رأينا أنها تستعين على اقناع الناس بمبدأ التكرار
والتكرار من القوة بحيث يجعل الرجل يؤمن هو نفسه بالكلمات
التي يكررها ويسلم بالافكار التي يعرب عنها عادة . والتاريخ السياسي
حافل بالعقائد التي نشأت عن التكرار على الوجه المذكور . فقد كان
قادتنا وأولو الامر منا قبل سنة ١٨٧٠ يقولون مكررين ان الحيوث
الالمانية هي دون جيوشنا قوة . وبفعل هذا التكرار اعتقدوا صحة
ذلك اعتقاداً جازماً . وكل منا يعلم ماذا كانت عاقبة هذا الاعتقاد .
ولا يلبث الرجل السياسي بعد اقباله على آراء مفيدة له أن يعتنقها
بتأثير نضاله عنها حتى يصبح غير قادر على تبديلها عند ما تقتضي
منفعته هذا التبديل

والقدوة هي أحد وجوه التلقين الفعالة . ولكن يجب أن تكون

ذا وقع في النفوس لكي تؤثر أثرها . ففي عالم التربية نرى أن المثال البارز خير من مئات الامثلة الضعيفة التي لا تنفذ الى القلوب وللتفوذ أثر كبير في انتشار الآراء . ففي المدارس يتعلم الطلبة أن التجربة والاختبار قد حل كل منها الآن محل التفوذ . ولكن من السهل اثبات خطأ هذا الزعم . فلو نظرنا الى الآراء العلمية - دون أن نلتفت الى الآراء الدينية والسياسية والأخلاقية حيث لا شأن للدليل فيها - لرأينا أنها في الغالب لا تملك سوى نفوذ قائلها وانها تنتشر بالعدوى . ولا يمكن أن يكون الامر خلاف ذلك اذ لما كان اكثر التجارب والاختبارات العلمية من التعقيد بحيث يصعب تكرارها فانه يسلم بكلام العالم الذي يشرحها . ولذلك يحق لنا أن نقول ان تفوذ الاستاذ في الوقت الحاضر هو كما كان في زمن أرسطوطاليس بل يزداد هذا التفوذ كما أصبح الاختصاص العلمي أعظم منه في الماضي

ويتوقف مصير اقطاب السياسة وأرباب الأعمال والأدباء والكتاب والعلماء على ما فيهم من تفوذ خاص وقدرة على تلقين الناس على غير وعي منهم . وقد ينجح الابله أحياناً في نشر رأيه لانه لما كان غير شاعر ببلأهته فانه لا يتردد في توكيد رأيه ويصبح بذلك ذا تفوذ

وقد كان شأن التفوذ في شوكة الملوك عظيماً الى الغاية . حتى ان بسكال قال . « يجب على المرء أن يكون ذا عقل تقي خالص لكي ينظر الى ملكه وهو في قصره الذي يحرسه ٤٠٠٠٠ جندي كما ينظر الى بقية الناس » وفي الحيل الحاضر الذي هو حيل المساواة

نرى نفوذ الملوك ما يزال محافظاً على شأنه . فيجعل بالملوك أن يحافظوا
عليه بحكمة . وقد كتب المسيو نوزياري مراسل إحدى الصحف المهمة
يقول : « أن جميع من حضروا جنازة ملك إنجلترا قد عجبوا من
تأثير امبراطور المانيا في الجمع حينما كان يمشي في وسط الملوك . حقاً
ان غليوم يكتسب باعتقاده أنه ظل الله في الارض عظمة غريبة
تدهش الناس »

والجماعات نظراً لاحتياجها الى العبادة لا تلبث أن تعبد اشخاصاً
يؤثرون فيها بنفوذهم

ويمكننا أن نلخص تأثير الاسباب في انتشار الآراء والمعتقدات
في هذه الكلمات الآتية : لا رأي أو لا عقيدة تظهر بلا نفوذ أو
تسيطر بلا توكيد أو تعيش بلا مثال أو تكرار

والعدوى النفسية هي أمر روحي ينشأ عنه التسليم ببعض الآراء
والمعتقدات تسليماً غير ارادي ومصدرها العقل الباطن . ولذلك
لا يؤثر فيها البرهان أو التأمل وهي تشاهد في الحيوان كما تشاهد
في البشر ولا سيما وقت الاحتشاد

حقاً ان العدوى النفسية هي العنصر الاساسي في انتشار الآراء
والمعتقدات . وقد تبلغ قوتها مبلغاً يجعل الانسان يضحى بأكثر
منافعه الشخصية وضوحاً

ولا تسري العدوى بتناس الافراد تماساً مباشراً . بل قد تنتشر
بالكتب والجرائد والحوادث حتى بالإشاعات البسيطة . وكما زادت
وسائل النشر والاذاعة تداخلت العزائم وأثر بعضها في بعض وعلى
هذا الوجه ترتبط كل يوم بمن يحيطون بنا أكثر من قبل

والخوف أشد العواطف سرياً بالعدوى وليس شأنه الكبير
في حياة الافراد والشعوب بالامر المجهول

والعدوى النفسية أمر عام يشاهد في الحيوان كما في الانسان .
ولذلك لا تلبث الرعشة التي تستحوذ على الجواد في الاصطبل أن
تسري الى الحياد الاخرى ولا تلبث الكلاب أن تنبح بعد أن
ينبح أحدها وعند ما يهرب خروف تتبعه سائر الخراف

وقد تشدد قوة العدوى النفسية فتغلب على غريزة البقاء وتدفع
الانسان الى التضحية بنفسه . وهاك ما يقوله الدكتور ناص :
« وقتما تنشر الصحف خبر انتحار وتفصل طريقة حدوته ينتحر
بعض مختلي الشعور حسب تلك الطريقة الموصوفة ومن هذا النوع
ما وقع في اليوم التالي لحادثة سيفتون حيث حقق كثير من المختلين
أنفسهم بالغاز . وتمد روسيا اكثر البلاد انتحاراً فقد كان الرسل
في روسيا أيام الاضطهادات الدينية يأملون أشياءهم باحراق أنفسهم .
وقد حدث أن أثنى ٦٠٠ شخص أنفسهم في النار دفعة واحدة .
ويقول أحد المؤرخين ان عدد الذين أحرقوا أنفسهم في روسيا منذ
سنة ١٦٧٥ حتى سنة ١٦٩١ يبلغ ٢٠ ٠٠٠ نفس ومما ذكره المسيو
مستوكين ان ٢٥٠٠ روسي طرحوا أنفسهم في موقد واحد طامعين
في الآخرة »

وقد ينشأ عن العدوى النفسية وهم خيالي لا يلبث ان يتحول
إلى حقيقة . فقد جاء في تقرير حديث للدكتور بيكه أحد علماء
الجراحة انه على أثر موت ضابط بالزائدة الدودية لزم الفراش ١٥
ضابطاً من بين ضباط إحدى الكتائب البالغ عددهم ٢٥ لظهور

علامات المرض المذكور فيهم . وما عوفي هؤلاء الا بالإنحاء فقط
ومعنى ذلك ان الطبيب أوحى اليهم بالتلقين بما فيه من تقوؤ
شخصه مع تكرار القول وتوكيده أنهم أبرياء من المرض فزالت
العقيدة التي أحدثوها هم لا منسهم بالمحاكاة على غير وعي منهم
ونحن نستدل على شان العدوى النفسية في انتشار الآراء
والمعتقدات من الملاحظات السابقة . فالمعتقدات سياسية كانت أم
دينية تسري بين الجماعات بالعدوى (بالمحاكاة) على الخصوص .
وعلى نسبة أفراد الجماعة يكون تأثير العدوى شديداً . ولا تلبث
العقيدة الضعيفة أن تصبح قوية بعد أن يكتسب الافراد الذين
يعتقونها صفة الجماعة

والمعتقد بعد أن ينتشر بالعدوى لا يلتفت إلى قيمته العقلية .
إذ لما كانت العدوى تؤثر في العقل الباطن فانه لا شأن للعقل الواعي فيها
وبالعدوى النفسية يعاني أرباب المال والقلم والعلم آراء الجماعات .
ومن أجل ذلك نرى ان العدوى قادرة على استعباد الذكاء . وقد
نشأت حوادث الدين التاريخية عن العدوى النفسية . ومع ذلك لم يكن
تأثيرها في أحد الأزمنة الماضية كما هو في الوقت الحاضر . وسببه
أولاً : ان السلطة أخذت تنتقل بالتدريج إلى الجماعات بفعل المبادئ
الديمقراطية . وثانياً ان تعميم وسائل النشر يؤدي إلى سرعة ذبوع
الحركات الشعبية . وما من أحد يجهل كيفية انتشار اعتصابات موظفي
البريد والثورات التي اشتعلت في روسيا وتركيا وبرتغال
والآراء التي انتشرت بتأثير العدوى لا تزول إلا بآراء مخالفة
تنتشر بالعدوى أيضاً

تكونه الواعى والاذواق

لا بد ان قارئ الفصول السالفة ينتهي الآن الى ان العقل الباطن هو العامل المهم في الاخلاق والاذواق . وذلك لان العقل الواعى هو عقل المعرفة والبرهان والتجربة أما العقل الباطن فهو عقل العقيدة . وقد سبق ان قلنا ان المعرفة لا تحدث الا أضعف العواطف بل هي تكاد تكون معدومة العواطف اذا قسناها الى العقيدة التي تبعث أحياناً أقوى العواطف في النفس

والعواطف هي المحرك للاخلاق والباعث للنشاط . ويمكن أن يلقي الانسان نظرة على القبائل العربية التي عاشت دهوراً طويلة في جزيرة العرب لم يسمع بها أحد ثم قارت فورة هائلة في العالم بقوة العاطفة التي أوجدتها العقيدة الدينية

وكذلك الذوق ينشأ ويتكون في العقل الباطن . فنحن نحكي من حولنا في العادات ونقدي بأقرب قدوة الينا نرى مثالها يتكرر كل يوم ونؤمن بالدين الذي تلقنه في صغرنا ونلبس لباس العصر الذي نعيش فيه ونأكل أطعمته على الطريقة التي نراها في غيرنا ونحن صغار . فكل هذه شئون ليس للعقل الواعى أثر فيها وإنما هي من العقل الباطل

والمركبات تأثير كبير في الاخلاق وقد ذكرنا بعضها في فصل سابق . ومركب النقص متعدد الانواع . فقد يكون أصل الوقاحة في أحد الناس أن يشعر بنقص ما في رجولته فيعوض نفسه من هذا النقص وقاحة في الكلام أو المسلك مع الناس وخاصة مع النساء وذلك لكي يحدث التوازن المطلوب في نفسه . وأحياناً ترى الفتاة التي تقدمت في السن ولم تنزوج تبالغ في الحياء والاحتشام وهذا لأنها تشعر ان كرامتها الجنسية مهانة فهي تعتمد الى هذه الدعوى الكبيرة بأنها لا تفكر البتة في المسائل الجنسية وأنها تستكر كل ما يوهم التعارف الجنسي

وينسب أناطول فرانس اندفاع نابليون الى الحروب والفتوحات الى ما كان يشعر به من نقص رجولته . قال : « كان هذا الرجل غير رجل أو قليل الرجولة وما على المستطلع الا أن يقرأ الورقة التي كتبها الجراحون الانجليز عند الكشف على الجثة . فقد تولتهم الدهشة من المنظر الاتوي لجسد نابليون . وما كان طول حياته يعبا بالنساء وإنما كان يعشق امرأة واحدة فقط هي : الحرب والمجد . فهو كسائر المستبدين سلب الدنيا واحتها لما وجده من النقص في نفسه . أتعرف لماذا وضع جان جاك كتابه « العقد الاجتماعي » ؟ لانه كان ساخطاً على الدنيا يريد أن يشعل النار في أطراف الارض . ونجد في الشرق ان الحصيان هم الذين أحدثوا كل الثورات . . . »

ومركب النقص هذا في نابليون وجان جاك روسو جعل كلا منهما نابغة بل عبقرياً

والسنون الاولى للطفل تعرض في عقله الباطن مركبات وتعرضات

لا يمكنه التخلص منها طول حياته فتطبع ذوقه وتصوغ أخلاقه .
فالطفل الذي يخشى أباه يخاف جميع الناس عندما يشب ويبدو هذا
الخوف في هيئة حياء كلما رأى رجلاً غريباً

وقد تحدث حوادث في الطفولة تجعل الطفل عندما يشب يكره
أشياء لا يكرهها عامة الناس ، كذلك الشاب الذي قلنا انه نشأ على
كراهة التبغ لان خادمه الذي كان يكرهه يدخن أعقاب السجائر
المتخلفة من الضيوف . او ذلك الرجل الذي يكره القبط لان قطعاً
قد أغار عليه وهو طفل وأفزعه وخطف منه قطعة لحم . ويحدث
أحياناً أن تؤدي الزهرة القصيرة في الريف مع ما يلازمها من سرور
سبباً في ان ينشأ الطفل وهو يحب الريف وقد يؤثّل أمواله في ضيعة
بدلاً من أن يؤثّلها في عقار في احدى المدن

وكذلك تنشأ الفتاة على استحسان من كان في صورة والدها
كما ينشأ الفتى على استحسان من كان في صورة امه . وذلك لان
الشاب وهو طفل حتى وهو يرضع ثدي امه ينظر اليها نظرة جنسية
ضعيفة ويغار من ابيه عليها فتطبع صورتها في ذهنه الي ان يشب
فيطلب المرأة التي تحقق هذه الصورة او تقرب منها . وكذلك الفتاة
فانها وهي طفلة تغار من أمها على أيها وتنشأ على استحسان صورته
والاخلاق والاذواق تحدث من العقائد وهذه العقائد تتسرب
الى العقل الباطن أيام الطفولة الاولى وبعيدها من البيت والمدينة .
ولذلك فان مكان التربية الحقيقي هو البيت لا المدرسة . فشأن المدرسة
أن تعلم أي تفرس في العقل الواعي بمجموعة من المعارف لا العقائد
ولذلك فالتعليم لا يمكنه أن يغير أخلاق المتعلمين لان المعرفة

لا تحدث في النفس عواطف دافعة الى الاتجاه في مسلك خاص .
وقد يكون أثر الصحيفة التي تظهر كل يوم اكبر جداً في صوغ
الاخلاق والاذواق من المدرسة . لان في الصحيفة مبدأ التكرار
الذي يرسس العقيدة في النفس ويحيل هذه العقيدة الى عاطفة تعمل
وتحرك الارادة

ولذلك فمن العبث أن تعلم الاخلاق بالكتب . فيقال للصبي
مثلاً : يجب أن تكون صادقاً حتى يحترمك الناس . أو يجب ألا
تزوج اكثر من امرأة

فان الاخلاق الناضجة عادات يعودها الانسان من البيئة التي
يعيش فيها . وهي ليست معارف تحتاج الى البرهان وإنما هي إيماء
يوحى الى العقل الباطن عن جملة وسائل . وقد أدرك مصطفى كمال
ذلك حين أجبر الاتراك على اتخاذ القبعة ونبد الطربوش لان المحاكاة
من الشروط المهمة في الإيماء . فاذا حاكى الزكي الاوربي في لباسه
حاكاه أيضاً في أخلاقه فينبذ عن نفسه التواكل الشرقي ويعمد الى
سائر العادات الاوربية فيصطنعها فتتشر حضارة أوربا في البلاد ولا
تجد أدنى مقاومة . وقيمة اللباس في الإيماء واضحة عندما تأمل
الفرق في الاخلاق بين أخوين أحدهما شيخ والآخر اقدي أو
حين تنظر الى السوري المتفرنج الذي يلبس القبعة والسوري الذي
ما يزال يلبس العمامة . فكلاهما من سلالة واحدة ولهما سحنة واحدة
ولكن شتان ما بينهما في الاخلاق

واذا تأملنا سلوك الناس وحللناه وقفنا على البواعث التي تبعثهم
على غير وعي منهم الى التفوه بألفاظ لم يقصدوها أو الى التحرك

بمحركات تبدو لنا سخيقة لا معنى لها أو اتخذ لباس خاص أو نحو ذلك .
فإن لهم نيات مكبوتة ثقلت وهم لا يدرون

فهذا زوج مثلاً عاش مع زوجته عدة أشهر وهو يشعر بهناء
العيش ثم أخذت تكرر أمامه حوادث كره منها الزواج فإذا قد
أخذ يعبت بحلفة الخطبة فيخرجها ويدخلها في أصبعه على غير عادة
سابقة . فالحلقة رمز الرباط الزوجي فإذا دبّت في نفسه الكراهية
لهذا الرباط عمده عقله الباطن الى رمز هذا الرباط وحصر همه فيه

وقد ذكر فروود حادثة زوجة رأت زوجها يمشي على الرصيف
الآخر من الشارع فنسيت أنه زوجها . وعادت فتذكرت وتعجبت
لهذا النسيان . ولكن فروود عدّ هذا النسيان دليلاً على كراهتها له .
ولم تمض مدة طويلة حتى صدق ظن فروود وانفصل الزوجان . وقد
سبق ان ذكرنا أن الانسان اذا كره شيئاً لم يحب أن يتذكره وكل
حوادث النسيان تقريباً ترجع الى أننا لا نحب الاشياء التي ننساها

وكما يعرف الرجل المهذب الناشئ في بيت سري عريق في
الاخلاق من الرجل المحدث الذي يحاول أن يدخل في زمرة
المهذبين . فالاول نشأ على أخلاق وتغرضات وميول لها أصول
وفروع في العقل الباطن . فبجاملته عفوية لا يتكلفها لأنها قديمة
وهو لا يتصدر لأنه يشعر ويقنع بمركزه وإذا اختار لباساً مال الى
اللون القاتم . أما المحدث الذي هبط على الثروة حديثاً فإنه يشعر
بمركب النقص لأنه في أعماق نفسه يعرف أنه كان فقيراً مهاناً فهو
يحاول أن يخفي هذا الشعور ويبالغ في اخفائه بأشياء عديدة منها أنه
ينفق عن سعة بل عن تبذير لكي يزيل وصمة الفقر السابقة . ويلبس

ألوأنا مشهورة من اللباس واذا جلس تصدر ونحدث واذا جامل
تكلف الكثير من المجاملة حتى تعدو حدودها . وذلك لان في نفسه
عقيدة سابقة بأنه دون من يجالسهم فهو يحاول اثبات المساواة بينه
ويعينهم ولو تصف في ذلك

وللرأي العام أحياناً غريزة صادقة في معرفة البواعث . فكلنا
مثلاً يكره المحدث مع أن كل عائلة قديمة كريمة كان لها محدث
وقديماً كان الناس يتوجسون من الغلو في التعبد وذلك لان
هذا الغلو ينطوي على غلو آخر في الاستسلام للشهوات . ومن أغرب
ما يثبت التاريخ أن الرهبانية فشلت في العالم المسيحي عند ما فشلت
الرزائل وأكب الناس على الشهوات . وليس من مجرد الصدف أن
يكون الممالك أصحاب المساجد الاثرية في القاهرة مع أنهم كانوا
يقضون حياة حافلة بالمفاسد

النبوغ ومؤلفه

يعتقد الدكتور ادلر ان البقرية هي ثمرة « مركب النقص » ويقول ان جميع البقرين ناقصون . وليس من السهل أن ينكر الانسان حجته فهو يحصي لك مئات البقرين ويذكر نقائصهم التي كانت علة تفوقهم . فهذا مثلاً ديموستينيس يولد ألتغ ألكن فيدفعه قصه هذا الى الاجتهاد في الالقاء حتى ينقلب خطيئاً . ومما يذكر عنه أنه كان يضع الحصى في فمه ويقف على شاطئ البحر ويخطب مغالياً بذلك صخب الامواج وعائق الحصى

وفي وقتنا الحاضر يسود الادب الانجليزي رجلان هما شو . وولز . وكل من يدري تاريخهما يعرف أن نبوغهما يرجع الى مركب النقص . فبرنارد شو رجل ضعيف البنية يدلك على ضعفه انه ترك طعام اللحم وهو في العقد الثالث من عمره . وقد حكى هو عن نفسه انه عندما يكتب شيئاً يبلغ به الاعياء أن ينسطح على الارض منهوكاً وكذلك ولز كان في أول شبابه مصدوراً يبصق الدم وهو الآن محدود بين البارعين في لعبة الجولف . وقد سبق أن ذكرنا مثال الدكتور طه حسين وما قاله أناطول فرانس عن نابليون ولست أعتقد أن مركب النقص وحده يكفي للنبوغ دع عنك

العبقريّة . بل لا بد من كفايات أخرى الى جانبه ، وظروف حسنة تساعد على الارتقاء . فمن هذه الظروف أن يقضي زمن الصبا في وسط يرفع الصبي ويغرس فيه تفرّضات وميولاً حسنة ويبذر فيه بذرة الخلق المتين والذوق الرفيع . فالهندي الذي ينشأ على التواكل وعلى أن الآلهة تفعل ما تشاء بالفرد قلما ينجح مهما كان فيه من بواعث النبوغ

والإبحاء في زمن الصبا من أقوى البواعث على النجاح . فقد يتغرس الميل الى العسكرية من بذلة حربية يلبسها الصبي في أحد الأعياد ويخطر بها وهو يجادل بسيفه ويسمع كلمات الاطراء من والديه . وتبقى هذه الذكرى كأمّنة في عقله الباطن حتى يبلغ سن الشباب فيميل بكلّيته الى الحياة الحرة

وقلما تجد واحداً من الناجحين في أعمالهم وتساله عن أيام صباه حتى ترى ان الميل قد انغرس فيه منذ الصبا . فهذا رجل ناجح في التجارة مثلاً كان أبوه قد اشترى له في صباه دكاناً صغيراً . وهذا آخر يحب اللغات كان قد رأى كتاباً مصوراً بالالوان الزاهية فجعل يقلب ويسأل ويمني نفسه بأنه سيكون عالماً

وقد يكون مما يساعد على النجاح والنبوغ وهم أوهمه الاب لابنه من حيث كفايته فنشأ الصبي على هذا الوهم أي أنه تخيل ثم خال . وهذا هو السبب في أن كثيرين من الصبيان اذا نشئوا في عائلة لها حسب استأنسوا بهذا الاصل وتوهموا أن الكفاية التي رفعت آباءهم سترفعهم . فهم لذلك يفوزون على الرغم من معاكسة الظروف التي

كانت تمت الهمم في غيرهم ممن ليس لهم هذا الاصل أو الحسب .
فالولد ينشأ وهو يتشوق الى الصناعة التي كان يشتغل بها أبوه أو
خاله ويرى من الطبيعي أن يسلك مسلكهما وان تبرزها ينعكس
أثره فيه فاذا بلغها تسلط عليه الوهم بالنجاح فلا يختار سوى السبل
المؤدية اليه وينجح في النهاية . وربما كانت أحسن ثروة يتركها الاب
لابنه هي المثال الحسن الذي يحاكيه الصبي ويرى فيه القدوة يقتدي
بها اذا صار شاباً

ومن مؤهلات النجاح والتبوغ التسامي بالقوة الجنسية وصرفها
الى خدمة الفنون الجميلة . فان هذه القوة تفيض مدة الشباب وتدفع
بصاحبها أو صاحبته نحو الجنس الآخر دفعاً شديداً . فاذا حدث
الزواج في ذلك الوقت ذهب الليد فانقثت القوة المكبوتة . ولكن
اذا لم يحدث التعارف الجنسي فان القوة المكبوتة تتصرف الى
أحد طريقين :

١ - اما الانحرافات الجنسية في العادات السرية والخروج عن
المألوف واما الهستيريا وخاصة في النساء

٢ - التسامي نحو خدمة الفنون الجميلة التي تشبه حب المرأة
وهذا التسامي يحدث أحياناً على غير وعي لان الليد يجد فيه
منصرفاً فيسلك هذه السبيل ويرفه عن صاحبه ذلك الضيق السابق
الذي أحدثه الكبت . وكل ما يشعر به الشاب عندئذ أنه يحب الفنون
الجميلة أو نوعاً منها حباً عظيماً وهو في أعماق نفسه يحب المرأة . وهو
لشدة حبه لهذه الفنون ينبغ فيها لانه يتفق عليها من وقته والتفاته

أكثر مما ينفق على أي موضوع آخر ويشغف بها شغف الرجل
بالمرأة . وذلك لأن العقل الباطن يرى في التمثال الجميل من المرمز
أو صورة المرأة الحسنة أو رسم الملائكة ومزاولة العمل فيها بالرسم
أو النحت لذة ليست بعيدة من اللذة الجنسية . وقد يرتقي الإنسان
بالتسامي أيضاً إلى السعي وراء مطالب تبدو في الظاهر كأنها بعيدة
عن الغريزة الجنسية ولكنها في الواقع متشعبة منها كالتزويق للحائط
أو إقامة العمارة العالية أو الزهو بتأليف كتاب أو جمع الثروة أو
الالعاب الرياضية أو الغناء أو الموسيقى . فالحركات الرياضية
تشبه من أوجه كثيرة تلك الحركات التي يقوم بها الذكر أحياناً
لاجتماع الانثى . وهذا واضح في ذكران الطيور . وتلك الصفات
المجردة كالزهو والتغلب والسيادة ترجع كلها أيضاً إلى هذه الغريزة
أما علاقة الغناء والموسيقى بها فواضحة . وهناك من الصفات ما يستبعد
الإنسان علاقته بهذه الغريزة الجنسية مثل الشجاعة والتضحية ولكنك
عند التحليل لا تلبث أن تجد أن أكبر ما يدعو إلى مزاولة هاتين
الصفتين هو هذه الغريزة . فالحيوان القديم في كل منا لم يكن ليضحي
بنفسه أو يتشجع في القتال حتى الموت إلا دفعاً عن زوجته وأولاده
أو حباً في اغتصاب الانثى

ومن هذا يتضح للقارئ أن النفسولوجية الحديثة لا تقول
باستسلام الشاب لغريزته الجنسية لأنها تجد بالتسامي منصرفاً نافعاً
للأمة وللشخص . وهي تجد من هذا التسامي مادة للنموغ وأحياناً
للعبقريّة كما نرى في مثال لويولا . ولكن إذا لم ينجح التسامي وكانت

التربية السابقة لا تؤهل صاحبها له فيجب عندئذ تقادياً من الانحرافات.
أن يتزوج

وعلى هذا يمكننا أن نقول ان تأخير الزواج يزيد النبوغ في
الامة ولكنه يحدث الى جانب ذلك انحرافات وأمراضاً . ثم يمكننا
أن نزيد على ذلك بأن الترخيص في زواج اكثر من امرأة يقلل
النبوغ لانه يقلل التسامي إذ ان الغريزة الجنسية تجد منصرفاً طبيعياً
لها في التقل من أنثى الى اخرى

وخلاصة القول أن للنبوغ جملة شروط يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - أن يكون عند الشخص « مركب نقص » قد نشأ فيه

وهو صغير

٢ - أن يوهم منذ الصغر بالبراعة في ناحية ما من نواحي السعي

الانساني

٣ - أن يتعود عادات حسنة في السنين الاولى من عمره

٤ - أن يتسامى البليد عنده نحو درس أحد الفنون

فهذه كلها مجتمعة تعمل للنبوغ اذا ساعد الحظ انساناً على أن
يجمع فيه كلها . وهذا نادر . بل اكبر الظن انها اذا اجتمعت احدثت
ما يقرب من العبقرية

وهذا الشرط الثالث الخاص بتعويد الشخص عادات حسنة من
أقوى عوامل النجاح . فالفرق بين الشجاع والحيان هو في الحقيقة
فرق في العادات لان احدهما نشأ على أن يجابه ويتصدى والآخر
تعود ان يحجم ويخنس . وأحياناً يكون الفرق بين الذكي والبليد مادة
أيضاً . فمن الناس من يتعود أن ينظر الى الاشياء نظرة التدقيق.

والفحص والنقد وآخرون يتعودون المجانة والحقة . ولكن كلامنا
هذا لا ينفي ان هناك ناساً يولدون وهم بله تتبين البلاءة في ملاح
وجوههم وآخرين تتبين الذكاء فيهم . كما أن العبقري الصحيح يكاد
يكون انساناً جديداً في نظام الاحياء

الادب والعلم والنفس البشرية

عند ما تنظر الى تطور الثقافة نجد انها تخرج بالتدريج من رتبة العقل الباطن الى العقل الواعي . فهي سحر أولاً ثم أساطير دينية ثم أدب يحتوي على شتى الفنون وأخيراً نجد العلم . فالسحر هو أول ثقافة الانسان أي انه عندما شرع يضع « النظريات » ويرتب النواميس الطبيعية ويحاول ان يقف على كنه العالم والطبيعة عمد الى السحر . واذا نحن تأملنا الآن طرق السحر كما يمارسها المتوحشون لعهدنا هذا أو كما رويت في الكتب القديمة لم نلبث ان نجد انها كلها تجري على طرق العقل الباطن . فالقاعدة التي يجري عليها السحر هي المحاكاة . فإنا أريد مثلاً ان أقتل خصماً لي أكرهه فإنا أرسم صورته ثم أحرقها . أعتقد بذلك ان هذه الصورة ما دامت تحاكيه وما دامت قد أحرقت فان الاحراق سيناله أيضاً . ومن ذلك ان العرب كانوا اذا امتنع المطر ملثوا اناءً بالماء ثم ارتفع به أحدهم فوق راية فيصبه يعتقد بذلك ان السحاب سيحكي هذا الاناء فيهطل منه المطر . واذا أبق عبد عند العربي غرز عصا في الارض وربط فيها ختفساء بجبل . فاذا حاولت الختفساء ان تتجو دارت حول العصا حتى تلتصق بها . يعتقد بذلك ان العبد سيطوف

في الفلوات ثم يثوب اليه على نحو ما تفعل الحتفساء عند ما تثوب الى
العصا وهي تحاول الفرار . أي ان ما يحدث للختفساء يحدث للعبد .
وذكر ياقوت عن أهل ديباوند انه اذا « دامت عليهم الامطار
وتأذوا منها وأرادوا قطعها صبوا لبن المعز على النار فانقطعت » قال
ياقوت : « وامتنعت هذا من دعوائهم دفعات فوجدتهم فيه صادقين »
ومعنى صب اللبن على النار انه يتبخر ويحجب وهذا ما يراد
بقطع المطر أي ان السحاب يذهب بخاراً فلا يتكاثف ويقع ماء .
فما يحدث للبن يراد احداثه للمطر على سبيل المحاكاة

وقد رأينا في فصول عديدة سابقة ان المحاكاة مبدأ من مبادئ
التفكير للعقل الباطن وأوضحنا قيمتها في الإيجاء ولذلك لا ندهش
ان تكون المعارف الاولى للانسان قائمة على سحر المحاكاة كما ان
العقل الباطن قد سبق العقل الواعي

وقد أخذت الاساطير الدينية مكان السحر عند الانسان لاول
عمره بالثقافة الدينية . وأساطيره كلها من عمل العقل الباطن . فقد
قلنا ان هذا العقل كما هو ظاهر من أحلامنا لا يدرك الصفات المجردة
ويقوم في مكانها أشخاصاً يرمزون اليها . فنحن نفهم العظمة ونراها
في الحلم رجلاً ضخماً . وكذلك عندما شرع الانسان يتسكّر نظرية
لخلق الكون لم يجد ما يوافقه سوى ان ينسب هذا الخلق الى عدة
أشخاص أقوياء . فالآلهة القديمة عند الرومان والمصريين والاعريق
وغيرهم هي المحاولات الاولى لايجاد نظرية للمخلق . ولكن لما كان
العقل الواعي لم يهتد بعد الى الطرق العلمية الحديثة ووضع النظريات
المجردة فانه اعتمد على طريقة العقل الباطن في الرمز الى القوى

الطبيعية بأشخاص عظماء أطلق عليهم أسماء الآلهة
ونشأ الادب بجميع فروعها أي الفنون الجميلة كلها بما فيها من
شعر ونثر وتصوير ومثالة وعمارة عقب الاساطير وكان اشتغاله أولاً
بهذه الاساطير ثم استقل بالتدرج . وإذا نحن تأملنا الادب بجميع
فنونه ألفيناه قائماً على الخواطر أكثر مما هو قائم على التفكير الواعي .
والخواطر هي طريقة العقل الباطن . فالشاعر لا يتقيد بعقله الواعي
الا أقل التقيد ويترك نفسه للخواطر والكلمات الطارئة حتى ينظم
القصيدة بخلاف العالم الذي يتقيد بعقله الواعي ويضع ترسيم البحث
قبل ان يشرع فيه . والفنون القديمة كلها محاكاة وكان المثال أهم من
المعمار لأن الاول كان يحيد عمله بخلاف الثاني الذي بقيت ناقصاً لأن
العقل الواعي لم يكن قد استقر تماماً في النفس

فالعالم القديم هو عالم الفنون ولذلك نرى الشعر الجاهلي ونعجب
ولا نستطيع أن نحيد في النظم أكثر مما أجاد القدماء . وكذلك صنع
التماثيل قد بذنا فيه القدماء . أما في الفنون التي تتصل بالعلم كالعجارة
فأما تفوقهم فيها

والقرون الوسطى هي عصر الصراع بين الطريقة الادبية
والطريقة العلمية أي بين العقل الباطن والعقل الواعي ، ولذلك نجده
حافلاً بتلك الابحاث « الكلامية » التي كانت أشبه شيء بالشروع
في البحث العلمي بالتدقيق أولاً في معنى الالفاظ والترتيب المنطقي .
ونحن نقرأ هذه الابحاث الآن فلا ندري هل هي علم أو أدب .
والواقع أنها حلقة الاتصال بين العقل القديم والعقل الجديد
وأخيراً تراءنا نعيش الآن في عصر هو عصر العلم . حتى الادب

نفسه صار يستغل العلم فأكثر الكتاب استعمالاً للتفلسفية الحديثة
هم الادباء . وذلك لأن العقل الواعي قد أوشك أن يبالغ أشده
ويسيطر على نظام الهيئة الاجتماعية

وقد كانت الثقافة القديمة قائمة على الادب بفنونه المختلفة . وقد
أثمرت للقدماء حضارة زراعية . أما الثقافة الحديثة فتقوم على العلم
وقد أثمرت أو هي ستثمر حضارة صناعية . وفي وقتنا الراهن نجد
للأمم العظيمة الراقية مثل إنجلترا وألمانيا والولايات المتحدة ثقافة
علمية وحضارة صناعية بينما الأمم الشرقية ما تزال في أسر العقل
الباطن تحب الفنون وتمارس الزراعة فتثقافتها أدبية وحضارتها زراعية
وفي أحلامنا وخوابنا حين يطمو بنا العقل الباطن يرجع بنا
التفكير الى السبل القديمة . ومهما حاولنا أن نجعل معيشتنا وفق
ما يرسمه لنا العقل الواعي فإنا ما تزال نحن الى الطرق القديمة
وما زالت هي تؤثر فينا

الطفلة والفنونه الجميلة

ليس أدل على قوة الغريزة الجنسية من ان معظم النكات التي يتفكك بها « أولاد البلد » نحور وندور حولها . فقلما يتألف مجلس من العوام الا وتسمع منهم اذا شرعوا في المزاح أنواع التورية الخاصة بهذه الغريزة . وذلك لانهم في أوقات السرور ورفع التكاليف يتماصون من قيود الحضارة فيعبرون عن هذه الغريزة بالتورية والتلميح وينطلق العقل الباطن في اختراع الرموز كما يفعل في الاحلام . والتورية من نوع الرمز

ونحن اذا اشتدت بنا العاطفة عاطفة السرور أو الخوف أو الحزن ضعف العقل الواعي وانطلق العقل الباطن يعبر عن هذه العاطفة بطرقه التي يستعملها في الاحلام . فقد نجد عن الحركة اذا فاجأنا لص فأخافنا ونشعر بما يشعربه الحالم وقت الكابوس . واذا اشتد السرور استحقنا الطرب فيذهب عنا وقار الوعي حتى نستمتع النكتة السميكة ونستحسن ما فيها من رموز وقحة . واذا بلغ الحزن من الأم ل وفاة ابنتها عمدت الى ملابسه فتحملها وتبكي عليها والملايس هنا رمز لفقيدها كما ان التورية في النكتة رمز للغريزة الجنسية

والرموز في الفنون الجميلة كثيرة وكلها تدل على قوة الغريزة الجنسية فالمثال يصنع تماثيل مختلفة للمرأة ويطلق عليها أسماء الفضيلة أو التقوى أو الغيرة أو السعادة أو نحو ذلك . وهذا كله يدل على ان الحب الجنسي هو أصل الفضائل الشائعة حتى اننا عندما نريد أن نجسمها لا نرى لها أوفق من جسم المرأة

والادب يعتمد على العقل الباطن في كثير من أساليبه كالشاعر يصف رسوم الدار وهو يرمز بذلك الى حبيبته الراحلة . ونحن نجد في الادب كالاشعار والقصص والرسوم والتماثيل من اللذة مثلما نجد في الخواطر والاحلام . وذلك لأن الحضارة تكبت في أنفسنا طائفة كبيرة من العواطف فيقوم الاديب بالتفريج عنها بفن من الفنون الجميلة التي يمارسها . ولكنه مع ذلك لا يكشف عن عواطفنا ساذجة غشيمة كما نراها في الاحلام في اكثر الاحيان بل هو يتسامى بهذه العواطف ويعلو عليها فيرفنا معه الى مستواه . ومن هنا وجوب الحرية التامة للاديب بل يجب أن يكون الادب مكشوفاً غير مستور بحيث يمكن الاديب أن يعرض لأي موضوع لأن مهمته أن يتسامى بالعواطف ويرفع القارئ ويستعمل غرائزه لما هو أرقى من ظاهرها . وكما ان الاحلام والخواطر تخفف من ضغط العواطف المكبوتة كذلك الأدب يخفف منها ويتسامى بها أحياناً الى ما يرفع القارئ . وهو لا يستطيع ذلك الا اذا كان له الحق في أن يعبر الاشياء التي يحسها كل انسان منا في سريرة قلبه

والحياة الاجتماعية التي نعيشها الآن تكاليف تكبت عواطفنا

وخاصة الجنسية منها بحيث يتأخر الشاب عن الزواج مدة طويلة بعد سن المراهقة . وهذا الكبت مفيد الى حد ما لانه يجعل العاطفة المكبوتة تنصرف الى عمل ما يمت بصلة الى أحد الفنون الجميلة . ولعلنا لا نخطيء اذا قلنا ان التاريخ يثبت ان الامم الشرقية التي أكبت على اللذة الجنسية واكثرت من الزواج الباكر أو أباحت للرجل أن يزوج عدة نساء لم تتقدم فيها الفنون الجميلة بل بعضها قاطع هذه الفنون مقاطعة تامة . ومع ذلك فهذه المقاطعة للفنون لم تقلل الاقبال على الشهوات الغشيمة والاسرادة منها . وهذا بعكس ما نرى في الامم التي يتأخر فيها الزواج . فان العاطفة الجنسية المكبوتة تستحيل الى قوة دافعة تنصرف الى خدمة الفنون الجميلة . ثم هذه الفنون نفسها تقلل من حدة هذه الغريزة في الشبان لانها تتسامى بغرائزهم . وكل هذا يقودنا الى الاستنتاج بأن ممارسة الفنون الجميلة وخاصة ما كان مكشوفاً منها كتمثال المرأة العارية (مع التسامي كأن يرمز المثال الى المثال بمعنى التقوى أو البر أو نحو ذلك) يخفف عن العقل الباطن ذلك اليبس المحبوس الذي يريد أن ينطلق بأية وسيلة

وقد اكثرنا في هذا الكتاب من نسبة الادب بقنونه الجميلة كلها الى العقل الباطن ونسبة العلم الى العقل الواعي . ولكننا لا نحب أن يؤخذ هذا الكلام على اطلاقه فليس هناك حد فاصل تمام الفصل بين العقليين اذ هما يتداخلان عند الهوامش . نحيال العقل الباطن يختلط أحياناً كثيرة بمنطق العقل الواعي . والمخترع كالشاعر

• كلاهما يفكر ويتخيل وان كلن الاول اكثر منطقاً والثاني اكثر خيالاً
والتفكير العلمي نفسه يحتاج الى نوع من الحضانة في العقل الباطن.
يختلف زمانها من ايام الى أشهر بل احياناً الى سنوات . وهنا يجب
ان نذكر قول رفرز وهو رجل عاش طول عمره وهو مغموس في
التجارب العلمية : « كثير من الافكار العلمية التي اقدرها اكثر من
غيرها واللغة التي اكسوها بها كانت ترد اليّ في تلك الحال التي ترجع
بين اليقظة والنوم وتتصل بالتوم التام »

كشف الجريمة بالعقل الباطن

سبق أن ذكرنا أنه بالتحليل النفسي يمكننا أن نكشف عن
حادثة قديمة مخبوءة مكونة في العقل الباطن لا يدري صاحبها نفسه
بها. وقد تحدث له هذه الحادثة أحلاماً مزعجة كالكابوس أو تنشيء
فيه تعرضات ومركبات تصوغ له خلقاً خاصاً قد يدعو إلى كراهة
أشياء أو حبها بدون أن يعرف وجه الميل أو الاعراض عنها.
وأحياناً أخرى قد تحدث له هوساً أو جنوناً أو جموداً في الاعضاء
فالتحليل يستثير هذه الحادثة القديمة فاذا وقف عليها صاحبها
عرف منها الاصل الذي ترجع إليه علته من حلم مزعج أو تعرض أو
مرض آخر نفسي وبوقوفه عليها يصطاح العقل الباطن مع العقل
الواعي وتذهب العلة

والتحليل هو بالسؤال والجواب : يسأل المحلل المريض عن
الخواطر التي تخطر في باله كلما ذكرت الالفاظ التي تدل على تفاصيل
الحلم . وعلى المريض أن يجيبه بسرعة وبلا تفكير أي يجيبه بما يخطر
في باله . والخواطر كما سبق نخطر لصاحبها من العقل الباطن اذا
ضعف الكبت . فنحن في حال اليقظة التامة نكبت هذه الخواطر
ولكن اذا أسرعنا في اجابة المحلل عن الخاطر الذي يخطر لنا عقب

ذكره للفظه خاصة ولم تفكر وتدبر في الجواب فان العقل الباطن يكشف عن نفسه ويذكر شيئاً له علاقة بالحادثة القديمة التي كانت خافية عن وعينا . وذلك لان السرعة تمنع العقل الواعي من الرقابة وتدير الجواب المخالف . وعلى المحلل عندئذ أن يجمع هذه الخواطر ويستخرج منها تلك الحادثة القديمة المكبوتة

وقد وجد الدكتور بونج أنه يمكنه كشف الجريمة في المجرم بالتحليل النفسي . فالمجرم الذي ينكر جنايته يسهر عليها بعقله الواعي حتى لا تفلت من لسانه كلمة عند السؤال عنها تدل عليها . فاذا فرضنا أن رجلاً قد أتهم بقتل رجل آخر وهو ينكر الجريمة بتاتاً ولكن الاشتباه فيه شديد فان المحلل يعتمد الى ظروف الجريمة من سكن أو مسدس أو دم أو ملابس المقتول وهيئة الغرفة وما فيها من أثاث ويختار منها نحو ٥٠ اسماً ثم يختار أيضاً نحو ٥٠ اسماً لا علاقة لها بالبتة بالجريمة . ثم يسأل المحلل المتهم أن يخبره بما يخطر في باله كلما ذكر له اسماً من هذه الاسماء بحيث يجيب على البديهة بلا روية وبأقصى ما يمكنه من السرعة . فاذا كان المتهم بريئاً لم يشغل باله قط بالجريمة المعينة فانه يجيب اجابات لا علاقة لها بالجريمة لانه لم يرها ويصير تداعي الالفاظ عنده عمومياً لا يختص بالحادثة . أما اذا كان قد ارتكب الجناية فان لفظه سكن أو دم أو اسم المقتول أو اسم بعض الاثاث الذي كان بالغرفة تدعو لفظه أخرى تدل على الجناية . وهذا هو تداعي الالفاظ أي ان اللفظة التي تعين خاطراً ما في النفس تدعو لفظه أخرى تدل على خاطر قريب منها

وهذا اذا أجاب المتهم على البديهة وبسرعة . ولكنه اذا كان

قد ارتكب الجنابة فانه يرفض أن يحيب بسرعة ولو أنه يحاول أن يوهم المجانة كأنه لا يبالي . فهو يحيب بسرعة على ما ليس له علاقة بالجنابة فاذا عرض سؤال خاص بالجنابة تريت قليلا وأجاب . وهناك مقاييس تقيس السرعة في الاجابة بكسر الثانية فتأخره في الاجابة عن الالفاظ الخاصة بالجريمة يدل على اشتغال باله بها ومحاولة كبت الذكرى . ولكنه مع التريت تفلت من لسانه ألفاظ تدل على الجنابة

وأنا أقول فيما يلي حادثة سرقة حققت بالتحليل النفسي وقد لحصها الاستاذ محمد فتحي في كتابه « علم النفس الشرعي » والذي قام بهذا التحليل هو الدكتور يونس

كان شاب متعلم في الثامنة عشرة من عمره يقيم في منزل عمه الذي كفله وتولى رعايته بعد وفاة أبيه ، حدثته نفسه أن يسرق نقود عمه ، فلاحظ العم فقد نقوده من آن الى آخر تارة من جيبه وطوراً من خزائنه ، فلم يخامره في بادىء الامر أي شك في سلوك ابن أخيه الذي اكرم مثواه وانزله منزلة الولد الامين ، بل اتجهت كل شبهته نحو بعض الخدم فكتم الامر مدة مكثفاً بمراقبتهم ، ولكن لما تعددت وقائع السرقة ولم يفز بطائل ، بلغ الشرطة وطلب اليها أن تحقق القضية لمعرفة الفاعل ، غير انه بعد التبليغ لاحظ على الغلام قلقاً عصبياً واضطراباً نفسياً اثار شكوكه فيه

ولكي يتثبت من حقيقة ذلك ذهب به الى الدكتور يونس في زوربخ بدعوى معالجة أعصابه فعمد الطبيب الى تحليل خواطره « بالتداعي اللفظي » متذرعاً بحجة درس حالته المرضية وتشخيص

علة قلقه واضطرابه . فجهز له قائمة من مائة كلمة دس له فيها ٣٧ كلمة لها علاقة بالسرقة وظروفها ويمكن حفظ التقود والعقوبة المقررة للسرقة وما يترتب عليها من النتائج وغير ذلك ، ثم بدأ الاختبار بأن وجه للفتى بضع كلمات عادية ، وطلب منه أن يحويه عن كل كلمة تلقى عليه بأول كلمة تخطر بباله ، وبأقصى ما يمكنه من السرعة فكانت النتيجة أن كلمة « رأس » نهبت عنده كلمة « أتف » وكلمة « اخضر » نهبت عنده كلمة « ازرق » « وماء - هواء » « وطويل - قصير » « وخمسة - ستة » « وصوف - ملابس » وهكذا

ولوحظ أن متوسط سرعة خواطره في التداعيات السالفة كان ثمانية وستة اعشار الثانية . ولما جاء دور الكلمات التي لها اتصال بمحادث السرقة ظهر أن كلمة « لص » نهبت « نشال » وهي تليقة طبيعية ، ولكن زمنها كان ٦ و ٤ من الثانية وأن كلمة « شرطة » نهبت « سرقة » في ٦ و ٣ من الثانية . والتداعي ، « سجن - عقوبة » تم في ٢ و ٤ من الثانية ، وشوهد في بعض الاحيان أن التلية قد تحصل بسرعتها الطبيعية في بعض التداعيات المخرجة غير أن أثر الاقعال النفسي يظهر في تلية التداعي التالي ، مثلاً كلمة « مفتاح » نهبت في ذهن الغلام كلمة « مصطع » في ٦ و ١ من الثانية بينما التداعي الذي تلاه « ابله - ذكي » لم يتم الا في ثلاث ثوان ، ثم تلاه التداعي « جريمة - سرقة » تم في ٨ و ١ من الثانية وهو زمن يكاد يكون طبيعياً ، غير أن الصدمة النفسية في التداعي الذي أعقبه كان لها أثر شديد في نشاطه العقلي لدرجة أعجزته عن استحضار أية تلية لكلمة « طباخ » مع أنها عادية بل استمر عشرين ثانية

بواجباً ثم أعقبه التداعي « خبز - ماء » وقد تم في ٦ و ١ من الثانية أي كان زمنه طبيعياً ، ولما هو معروف عن الخبز والماء من أنهما طعام السجون فقد أثار هذا الحاطر في نفس الغلام اتقاعاً قوياً ظهر أثره في التداعي الذي تلاه بأن أعجزه أيضاً عن الجواب

وعلى هذا النحو تمت عملية الاختبار ودونت الاجوبة مع أزميتها المختلفة وبعد الفراغ منها اعيد الاختبار بنفس القائمة المثوية دفعة ثانية فشاهد ان ردود الكلمات التي لها اتصال بالسرقة تغيرت ، فان كلمة جريمة ، كان جوابها في الاختبار الاول « سرقة » وفي الثاني « قتل » وكلمة ينكشف ، كان جوابها أولاً « خطأ » وثانياً « يقبض » أما الكلمات العادية فان ردودها لم تتغير

فبتحليل تداعيات كلا الدورين وملاحظة ما طرأ على تداعيات الدور الثاني من التغير ودرس التأخيرات الزمنية والشذوذ الطارئ على سرعة بعض الحواطر أمكن هذا العالم المحنك أن يقف على كثير من تفصيلات الحادث وتشخيص موقف الفتى تشخيصاً دقيقاً فوجه اليه الاستاذ بونج مهمة السرقة فأنكرها الفتى في مبدأ الامر محتجاً بشدة . فسرده له الطيب الوقائع التي كشف الاختبار عنها النقاب وقص عليه كيف كان يسرق نقود عمه تارة من خزانته وتارة من كيس نقوده وشرح له الطرق والسبل التي كان يتفق فيها تلك النقود ومن ضمنها انه اشترى ساعة واشياء أخرى قدمها هدية لأخته وهلم جرا . فما كان من الغلام الا أن بهت واعترف في الحال بكل شيء اعترافاً صريحاً . وبذلك أمكن عمه ان يتدارك الامر لا تقاذه من السجن

الجماعة مع الناس

نحن نعيش الآن في عصر تؤمن فيه بحكمة الاجماع. فلنا برلمان
تفد كلمته ولنا جمعيات للبر والتعايم وما اليهما . وقد تعلمنا احترام
الاجماع ونشأنا على ان نحترق الخارج على الجماعة في السياسة أو
الدين أو المذهب . ونحن تؤمن لأول وهلة بأن رأي الجماعة من
الناس خير من رأي الفرد. وقد تتساع وتقول بأن رأي الجماعة اذا
لم يكن خيراً من رأي الفرد فهو على الاقل ليس دونه وخاصة اذا
كان هذا الفرد نفسه عضواً من هذه الجماعة

ولكن الواقع أن رأي الجماعة هو على الدوام أحط من رأي
الفرد كما سترى من التحليل الآتي :

الناس في تطور مستمر لم يقف ولن يقف ، فهم كلهم يشتركون
اشترك المساواة من حيث الغرائز القديمة أما الكفايات الجديدة
فيتفاوتون فيها . فنحن كلنا سواء في غرائز الحب والاكل والقتال
والخوف لان كل هذه غرائز قديمة راسخة في الطبيعة البشرية ولكننا
تفاوتت في الذكاء أي في هذه الكفاية الجديدة التي حصلت للانسان
في الازمنة الاخيرة من وجوده على الارض

والناس في ذلك كالطبقة المتعلمة في الامة كلها تشترك في معرفه

القراءة والكتابة التي تعلمتها في سن الصبا وهي أقدم ما تعلمته . ثم
 بعد ذلك يتفاوت الافراد في معرفة التاريخ أو الجغرافيا أو الرياضة
 فإذا فرضنا أننا جمعنا أفراد هذه الطبقة المتعلمة وأردنا ان ننظر منها
 برأي اجماعي تتفق عليه الجماعة كلها ولا يشذ واحد عنها فإن هذا
 الرأي لن يعدو حدود معرفة القراءة والكتابة أو يكون في طبقة
 هذه المعرفة لأن القراءة والكتابة هما « القاسم المشترك الاعظم »
 الذي تشترك فيه أفراد هذه الجماعة بلا شذوذ ، فهم مثلاً لن يتفقوا
 على رأي في التاريخ أو الجغرافيا أو الرياضة لأنهم لم يتعلموها كلهم
 وهذه حال الجماعة من الناس في كل اجتماع فهم يشتركون في
 الكفايات القديمة وينزلون منها منزلة المساواة ولكنهم يتفاوتون
 في الكفايات الجديدة فلا يمكن اجماعهم على شيء منها . ولكن
 الجديد أرقى من القديم كما هو واضح في الذكاء الذي هو أرقى من
 الغرائز الغشيمة القديمة . ولذلك فعقل الافراد اذا اتفردوا أرقى
 من عقولهم اذا اجتمعوا . لأنهم في اجتماعهم سينزلون الى ما يشتركون
 كلهم فيه وهذا الاشتراك لا يكون الا في الكفايات القديمة في
 « أمجدية » الذكاء وليس فيما جد من الكفايات ، فهم متفاوتون فيه
 لا يمكن أن يجمعوا عليه . دع عنك ان الايماء يقوم في المجتمعين مقام
 الذكاء في الرجل المنفرد

ولذلك يجب أن نسيء الظن بكل ما يجمع عليه الناس

واذا صح ما قدمناه وجب أن نرى في الزعيم الذي يملك قلوب
 السواد من الامة رجلاً لا يخاطب الذكاء في الناس بل يخاطب

« الغرائز . لان الذكاء للقلّة والغرائز للكثرة بل للكل . ويجب أن
تذكر أن هذا « الكل » لا يدرك الجدل الذهني - ما للسألة وما
عليها - لان هذا يحتاج الى ذكاء وهذا الذكاء شيء حديث تتفاوت
فيه لا يمكن ان نجتمع عليه . أما الغرائز فقديمة كلنا يشترك فيها
فالزعم يجب ان يحزم . ولكن هذا وحده لا يكفي للزمانة
وانما الشرط الاساسي للزمانة ان يعتمد الزعيم الى « الايحاء »
فيستعمله مع الجماعة . وقد يستعمله على غير وعي منه كما هو واضح
في غلادستون أو زغلول أو كتشنر

والايحاء هو ذلك التأثير الذي يشعر به الانسان فيؤدي
ما يطلب منه ويسلك مسلك المطاوعة والرضا دون أن يجعل للعقل
الواعي سيلا الى المناقشة والتردد . وقد يكون الايحاء من الخطيب
للجماعة بالفوام أو الصوت أو السيرة السابقة أو الشيخوخة الصالحة
ولا يكون أبداً بالمنطق

ونحن متأثر بالايحاء على غير وعي . وهذا يدل على ان الخطيب
الذي يوحى اليه أغراضه يخاطب فينا العقل الباطن . والسمة الاصلية
لهذا العقل أنه غير واع

ولكن العقل الباطن أحط من العقل الواعي . ولذلك فنحن
اذا اجتمعنا للخطيب السياسي أو الديني تجردنا من أهم صفة فينا وهي
ذكائنا الواعي وارتددنا الى حكم الجماعة متأثر بالايحاء
والايحاء تختلف درجاته فهو في الحيوان الاجتماعي أكثر مما
هو فينا . فقطيع الخراف يعبر الجدول الذي تعبده أولى النعاج .
والخيل تشرد لان واحداً منها شرده . ونحن في المظاهرة نجري

وتتفرق لآنا رأنا واحداً منا يفر. واذا رعب أحد المجتمعين سرى
الرعب الى سائرهم

ففي حالة الاجتماع يقوم الایحاء مقام الذكاء الذي هو الصفة
الغالبة لنا وقت الانفراد وبعبارة أخرى تقول ان الفرد ينحط مجتمعاً
ويرتفع منفرداً

ومما يدل على ان الایحاء دون الذكاء أي ان العقل الباطن دون
العقل الواعي أننا في المرض والصبا والطفولة وفي حالة السكر من
الخمر والتخدير من الكلوروفورم نكون أكثر استعداداً للایحاء
فنصدق ونطاول أكثر مما نكون وقت الصحة والشباب والصحو
وخلاصة القول أننا في اجتماعنا نرتد الى الوراء في سلم التطور
فيكون السائد علينا في مسلكنا عقلنا الباطن أحط عقلينا . وعندئذ
يكون سبيل الاقتناع لنا هو الایحاء لا المنطق

ومن هنا تفهم قوة الخطابة وتعلقها بالخطيب من حيث هيئته
وطول قامته ونبرات صوته والوهم السابق عنه والاعتقاد الراسخ في
أخلاقه السامية فكل هذه الصفات توحى إلينا احترامه فنصدق
ونطاوله بلا جدل . ومثل هذا الخطيب يصح أن يكون زعيماً

ومحور البحث في هذا المقال أننا نريد أن تثبت ان الانسان في
وقت اجتماعه يكون أحط مما هو في وقت انفراده . فهو في الحالة
الاولى ينزل الى مستوى الكثرة الساحقة فيرى أنه يشترك وإياها في
الفرائز القديمة دون الذكاء الجديد . ثم أيضاً يقوم الایحاء
مقام المنطق

فتحن نعرف مثلاً من الابحاث النفسية الحديثة أن الكابوس

الذي يحدث لنا في الليل انما يحدث لعواطف محتبسة نجسها في يقظتنا فتتفس عن نفسها في النوم أي حين يكون عقلنا الواعي غافياً ونحن نسلك في الكابوس مسلك أسلاقتنا القدماء حين كانوا يستجيون للخوف بالجمود عن الحركة حتى لا ينتبه اليهم الوحش المغير عليهم فينجون بجمودهم هذا . كما هو الحال الآن في بعض الحيوان الذي يجمد عند المفاجأة ونقول نحن أنه يباوت حيلة للنجاة كالتغلب مثلاً . فتحن نحمد في الكابوس ونرى وحوشاً

ومعنى هذا أننا في الكابوس تفكر بعقل حيواني قديم . وقد ثبت بالتحليل ان أصل الكابوس هو حبس عاطفة قديمة أو حديثة وهذا هو حال الجماعة في الثورة . فهي في الجماعة كالكابوس في الفرد من حيث العلة الاولى وهي حبس العواطف ومن حيث المسلك وهو المسلك الحيواني القديم . فالثورة كما نعرف جميعاً تنشأ من الضغط السابق المتماذي ثم تفور فجأة فتعند فيها ونحن مجتمعون الى أعمال وحشية كأن نحطم المخازن أو تهب الاغنياء أو ندمر دور الحكومة أو تقتل الزعماء أو تهتك في علاقاتنا بالنساء . فقد حدث كل ذلك في الثورة الفرنسية الكبرى وحدث ما يشبهه في ثورتنا سنة ١٩١٩

فهذه الثورة تبصرنا بأشياء كثيرة: منها أنه سبقها أربع سنوات من الضغط فلم نكن نقدر ان تنفس بالكلام عما في قلوبنا ثم زاد الضغط بسرقة جمانا وغلاتنا بأثمان اسمية واستفحل الضغط حين كلف المأمورون في المراكز بأخذنا بالقوة للعمل في فلسطين .

فكان المأمور يربط الفلاحين بالحبال ثم يسوقهم الى ميادين القتال
« متطوعين »

ثم جاء الكابوس فأنحطت أخلاقنا انحطاطاً شنيعاً وصرنا لا نرى
في الفجور شيئاً يعيننا قهيناً المخازن وحطمتنا القطرات وصار الشاب
الذي لا يطيق ان يذبح الفرخة وهو منفرد يقتل الجندي الانجليزي
بل أحياناً يمثل به . وكل هذا لا تأكنا في كابوس بعثه الضغط السابق
والعبرة مما ذكرناه آتقاً واضحة . وهي أولاً الشك في ما يجمع عليه
الناس من الآراء والعقائد لان الوسيلة لهذا الاجماع هي النزول الى
المستوى الذهني واستعمال الابهاء في مكان المنطق . ثانياً تحامي الضغط
الذي يولد الكابوس . وأي كابوس رآه الناس في العالم مثلما رأى
قيصر روسيا في الشيوعية . بل أي ضغط أنزله انسان بأمة مثلما
أنزله القيصر بالروس ؟

فأخبب السياسيين في العالم هو ذلك الذي يلجأ الى الضغط لانه
بذلك يجبس العواطف لكي تفجر يوماً ما . وهي في انفجارها
تجري على أقدم الاساليب كما أننا في الكابوس نجري على أقدم
أساليب الخوف

والطريقة المتبعة الآن في معالجة الكابوس هي تحليل نفس
الشخص ومعرفة العلة الاصلية ، فاذا وقف الشخص عليها وتجردت
من رموزها وستارها طلب اليه ان يواجه الموضوع ويعالجه بذكائه
ومنطقه ولا يخفيه عن نفسه لانه باخفائه واقصائه يندس الى العقل
الباطن الذي يعرب عنه بطرقه القديمة

وهذا هو ما يجب أن نفعله اذا كنا نريد توقي الثورة . يجب

أن نصارح الناس ونجابه المسائل التي يشكون منها ونحاول حلها .
وفي هذه المحاولة تنفيس لما احتبس في النفس ويوشك أن يتفجر
كابوساً مظلماً مدمراً

النفسولوجية الحديثة وأثرها

موضوع النفسولوجية الحديثة هو العقل الباطن . فاكشاف العقل الباطن يرجع الفضل فيه الى رجال هذا المذهب الذين أوضحوا أثره في الاخلاق والعقائد وبينوا ما للعوامل الجنسية من الأثر الكبير في حياتنا اليومية وفي قنوتنا وآدابنا

فالقارئ لهذا الكتاب يتضح له ان العقل الواعي عقل اليقظة والانتباه لا يسيطر على حياتنا ولا يقرر ميولنا وأذواقنا وإنما يرجع ذلك كله الى العقل الباطن

فهذا العقل الباطن هو خزانة العواطف المكبوتة التي يمنعنا الحياء أو الشرائع أو الفقر من الاستسلام لها . وهو ينفس عنها بالخواطر والاحلام وأحياناً اذا كانت هذه العواطف قوية والكبت شديداً فإنها تنفجر وتتخذ هيئة هستريا أو نوراستينيا تشبه الجنون

ومن هذه الظواهر نعرف ان حبس العواطف يؤذي الناس . وخصوصاً تلك العاطفة الجنسية التي هي أعنف العواطف جميعاً . وليس معنى كلامنا ان النفسولوجيين يقولون بالاستسلام لهذه العاطفة بل يقولون بالصراحة في الكلام عنها وينصحون للشباب بالمناقشة فيها . وذلك لان هذه المناقشة تزيل عنها مسحة الغر الذي يمسحها

عليها الحقاء . ومن أغرب ما ثبت من الاتّحار وهو يؤيد الدعوة الى الصراحة والبوح والمناقشة ان الامم الكاثوليكية أقل الامم اتّحاراً . وهذا ثابت من الاحصاءات التي تنشرها الحكومات . وهذه القلة تعزى بلا شك الى ان الكاثوليكي يعترف الى الكاهن وباعترافه ينفس عن عاطفة مكبوتة لا يطبق احتمالها . وليس التحليل الذي يقوم به النفسولوجي مع المريض سوى مناقشة يعترف فيها المريض بمركباته القديمة فاذا توضحت أمامه سكنت نفسه اليها وذهب عنه مرضه ولا يمكن أن نعالج الشاب بالاستسلام لعواطفه لانا بذلك نقيم في نفسه صراعاً جديداً في مكان الصراع القديم . لان الاستسلام للعواطف يحجروا وراءه تبعات جديدة تحدث عواطف جديدة مؤلمة للنفس . فاذا لم يكن الزواج مستطاعاً فانه يمكن التنفيس عن العاطفة الجنسية بالتسامي أي بممارسة نوع من الفنون الجميلة أو بالسعي في سبيل البر بما هو ذو علاقة بهذه العاطفة

وبدرس العقل الباطن يمكننا الآن أن نفهم أساطير الانسان القديم وكيف نشأت عقائده وكيف اهتدى الى الاداء بالمجاز والاستعارة . فانا في أحلامنا نرى أحياناً كثيرة صورة أسلافنا ونرى في رمز الحلم الاستعارة الاولى للغة

وبالعقل الباطن نعرف الآن ان العقائد لا تقوم بالبرهان بل بالايحاء . وان الرأي العام يتكون بالعقائد وان التعصب للرأي السياسي الآن يقوم مقام التعصب للرأي الديني في الازمنة القديمة وزية الطفل كادت تكون الآن من المكتشفات الجديدة لما

أسبغ عليها درس العقل الباطن من النور . فأتا نعرف الآن ان المركبات المؤذية تحدث أيام الطفولة وان قوة الإيحاء كبيرة جداً في تلك السن . وان تربية الاخلاق يجب ألا تتعدى السنين الخمس أو الست الاولى للطفل

والخلاصة ان درس العقل الباطن يجعلنا الآن :

١ - تقدر الفنون الجميلة ونعرف انها ليست للتسلية واللذة فقط بل أيضاً لتوجيه الغريزة الجنسية الى ما يرفع ويرقي بحيث ترى الآن ان من واجب كل فرد حفظاً لصحة نفسه وجسمه أن يمارس أحد الفنون الجميلة

٢ - نعرف ان العقائد سياسية كانت أم دينية تقوم في الغالب على الإيحاء فلا ينفع فيها جدال أو علم

٣ - ان الصراحة في المسائل الجنسية تقلل من حدة العاطفة وقد تفتح هذه الصراحة باباً للتسامي

٤ - ان التربية الاخلاقية الحقبة يجب ألا تعدو سن الصبا فيجب لذلك أن نغرس في ذهن الصبي بجميع ضروب الإيحاء خصال الشجاعة والجرأة والدقة والبر

٥ - ان كل شاب يمكنه أن يعالج نفسه من الاخلاق السيئة والعادات المرذولة بأن يغرس في نفسه عقيدة يوحيا الى نفسه بالتقنين والتكرار

٦ - ان النجاح والصحة ميسوران لكل انسان اذا أوحاها الى نفسه ودأب في ذلك وانتفع بعقله الباطن

٧ - ان النفس الانسانية تنزع الى الرقي ولو كان في ذلك
هلاكها فكل شاب يعمل لترقية نفسه يجد الطريق الى ذلك أيسر
عليه من الطريق الى الانحطاط لأنه في الحال الاولى يجاري طبيعته
الاصلية التي يثبتها التطور السابق للانسان

٨ - ان العقل الواعي هو عقل المعرفة والعلوم وانه يوشك أن
يحدث في العالم المتمددين حضارة صناعية حتى الأدب نفسه قد
اصطبغ صبغة علمية بتأثير العقل الواعي

الفاظ الاصطلاحية في هذا الكتاب

لكل علم حدوده أي الفاظه الاصطلاحية التي تقيّد بمعنى خاص للعلم وإن كان معناها في اللغة عاماً . وأنا قد استعمت في هذا الكتاب جملة الفاظ تقيّد بها في التعبير ولزيادة الايضاح أذكرها هنا مع ما يقابلها من الحدود الانجليزية حتى لا يختلط المعنى على القارئ .
الراغب في التوسع :

استهواء : هو hypnotism أي النوم المغنطيسي وهو النوم يحدثه الانسان بالايحاء والتلقين

ايحاء : هو suggestion وبه يمكن احداث الاستهواء وله جملة وسائل فقد يكون بالتلقين أو المحاكاة أو القدوة أو غير ذلك

تسام : sublimation أي رفع الغريزة من حالتها الغشيمة الاصلية الى حالة أرقى منها كالغريزة الجنسية يمكن التسامي بها الى حب الفنون الجميلة

تقرضات : هي prejudices عقائد تقوم في النفس من حوادث سابقة كأن يكره أحد الناس التبغ أو الجنبري لحادثة حدثت له جعلته يشمئز من أحدهما

جمود : هو immobility كالذي يحدث لنا في الكابوس حين
نجمد عن الحركة

خاطر : هو daydream أي حلم اليقظة الذي نستسلم له وقت
الاسترخاء وغفلة العقل الواعي

ضغط : repression هو ان نمنع عن ذهنتنا خاطراً مؤلماً ويكون
المنع على وعي منا . أما الكبت فهو suppression أي اننا نمنع
الخاطر المؤلم عن ذهنتنا بلا وعي بالمنع . ورفرز يعتقد ان هناك فرقاً
بين الاثنين ولكنني أظن ان النتيجة واحدة منهما

عاطفة : affect هي ذلك الاحساس الذي يعقب المعرفة ويدفع
الى العمل كعاطفة الجوع تعقب رؤية الطعام (المعرفة) وتحدث
الزوع أي الرغبة وتسبق الاكل (العمل)

عقل باطن unconscious mind هو العقل الذي لا ندري
أي لا نعي به وهو عقل الاحلام والخواطر الطارئة

عقل واع : conscious mind هو العقل الذي نعي بعمله
عندما نكلم على مهل وروية وتدير

عقيدة : belief, creed هي الايمان عن طريق الانحاء أي
عن طريق العقل الباطن وهي لذلك لا يعتمد صاحبها في صحتها على
المنطق وهي اكثر احداثاً للعواطف من المعرفة وهي لذلك اهم عامل
في تكوين الاخلاق .

كبت : هو suppression أي منع خاطر مؤلم عن الوعي
ومنع حادثة مؤلمة عن أن نستذكر وذلك بدون ان نعي

ليد : libido هو تلك القوة الجنسية في العقل الباطن تريد أن تنطلق على الرغم من الكبت والضغط . وانطلاقها عن سبيل العمل أو الأحلام أو الخواطر وهي اذا كبتت ترحل الى التسامي . ولكن يوضح يرى انها قوة الحياة ذاتها وانها هي التي تدفع بالشخص الى الرقي والمجاهدة وادلر يرى انها الرغبة في التفوق

محاكاة : imitation احدى وسائل الايجاء كأن يرى الانسان رجلاً عظيماً يلبس لباساً خاصاً فيستحسن هذا اللباس على سبيل التقليد معرفة : cognition هي للعقل الواعي بمثابة العقيدة للعقل الباطن . ولذلك فالعلم معارف . والمعارف ضعيفة الاثر في احداث العواطف

نزوع أو رغبة : conation

هستيريا : hysteria مرض نفسي يعترى النساء والرجال ولكن الاصابة في النساء اكثر ويرجع الى ان الليد قوي جداً لا ينصرف بالأحلام والخواطر . فعندما يطغى العقل الباطن على العقل الواعي يستجيب المريض للمؤثرات الخارجية استجابات قديمة كأن يجمد كله أو بعضه للخوف

١٤٦١٨	واحد مئتين
الف ٤	ف مئتين
٣ ع	كتاب مئتين

فهرست

صفحة	صفحة
٩٩ كيف تنتفع بالعقل الباطن	٥ المقدمة
١٠٢ الاستهواء والنجاح	٧ في ذكر العاملين
١٠٧ النوم	١٠ الرقي طبيعة الانسان
١١٢ أمراض النفس	١٣ النفس وطبقاتها
١١٧ حوادث الهستريا	١٨ العقل الباطن
١٢٣ السنون الاولى للطفل	٢٢ قوة الغريزة الجنسية
والصبي	٢٦ في الكبت
١٢٨ التفرضات	٣٢ الليد والطاقة المكبوتة
١٣٣ المركبات	٣٧ السأم والهـم والعصية
١٣٧ كيف تكون الآراء والمقائد	٤٢ الاحلام
١٤٣ تكون الاخلاق والادواق	٤٨ الرموز في الاحلام
١٤٩ النبوغ ومؤهلاته	٥٨ حلم الانتحار
١٥٥ الادب والعلم والنفس الشرية	٦٤ الاحلام والتنبؤ بالمستقبل
١٥٩ الفكاهة والفنون الجميلة	٦٨ الثقافة القديمة في الاحلام
١٦٣ كشف الجريمة بالعقل	٧٣ العقل الباطن في الحواطر
الباطن	٨٠ الكبت والتسامي
١٦٨ الجماعة من الناس	٨٥ العقل والجسم
١٧٥ الفلسولوجية الحديثة واثـرها	٩١ طريقة الايحاء أو التلقين
١٧٩ الالفاظ الاصطلاحية	٩٥ الاستهواء والتحليل

مؤلفات أخرى لسلامه موسى

اليوم والغد

حرية الفكر وابطالها في التاريخ

نظرية التطور وأصل الانسان

احلام الفلاسفة

مختارات سلامه موسى

اشهر قصص الحب التاريخية

اشهر الخطب ومشاهير الخطباء

